فوائد وفرائد

تأليف مستمد الدعاء من الإخوان

عبدالله بن علي صالح القذان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

طالعت هذا الكتاب الكريم من أوله إلى آخره
الذي كتبه الأخ الناصح الشفيق عبيد الله
امين علي الكذالي جزاه الله خيراً فوجدته
من أحسن الكتب التي ألفت في التذكير
فهو جدير بأن يقتنيه كل مؤمن
ولا سيما طلبة العلم والمرشدون
ويرجعون إلى مطالعته والنظر فيه الوقت
بعد الوقت ، ويتخذونه مصدراً للواعظين وحقيق بأن يكون
في آذان المتعظين وأن تقرع أبوابه

فجزى الله الكريم مؤلفه الجزاء الجزيل
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

[signature]

١/رجب/١٤٣٩هـ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي جعل القلوب أوعية وخيرها أوعاها، وجعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وبعد:

فإني قد قمت بجمع هذا الكتاب طمعاً في ثواب الله ورحمته ونصيحة لطلبة العلم الشريف وللإخوان لعل الله أن ينفع قارئه بكلمة أو بكلام مما حواه، وقد ضمنته عدة مواضيع منها موضوع في أصول الدين وهو سهل المأخذ للمبتدئين، وموضوع يفتح للمتأمل فيه باب التفكر ويلفت النظر في وجوب الشكر، وأكثر محتوى الكتاب نصائح لطلبة العلم الشريف والاهتمام بصلاح ذات البين، وكل ما حواه الكتاب بدايات يمكن للواعظ والناصح والمعلم أن يبتدئ من أي مواضيعه ويتم البقية مما ألهمه الله.

أسأل الله الذي يعلم السر وأخفى أن يجعله بضاعة نافقة في سوق الآخرة وأن يجنبه وجميع أعمالنا من المحبطات إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على أنبياء الله وملائكته وعلى نبينا محمد وآله الطاهرين، آمين رب العالمين.

باب وجيز في التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين وعليه التوكل وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبعد:

هذا الموضوع يهمني دائماً وتحدثني نفسي عنه كذلك أريد أن أوضح للطلبة البدائيين معرفة رب العالمين بطريقة يفهمها عقل الطالب غير أني محتاج إلى ذلك قبل كل طالب فعزمت على ذلك مستمداً من الله العون والبصيرة والتوفيق والهداية إنه على ما يشاء قدير.

قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين وعيبة علم رسول الله وباب مدينة علمه علي بن أبي طالب عليه السلام ورحمة الله ورضوانه: (التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه)، وقال عليه السلام: (من تفكر في الخالق ألحد، ومن تفكر في المخلوق وحد)، وقال عليه السلام: (باينهم بصفته رباً كما باينوه بحدوثهم خلقاً).

انظر أيها الطالب للنجاة السالك طريق آل محمد الهداة إلى هذه الخطوط العريضة التي رسمها لك من هو بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة ومن حبه إيمان وبغضه نفاق، وتأمل قوله عليه السلام: (التوحيد ألا تتوهمه) فقد قطع بهذه الكلمة عليه السلام أطماع العقول من ملائكة الله الذين لهم معرفة لا يصل إليها أحد من الجن والإنس وكذلك الرسل صلوات الله عليهم وجميع الخلق من المكلفين فلا عقل أحد ممن ذكرت يصل إلى معرفة الله وتوحيد الله بالتوهم والتصور، فلا يتوهم العقل ويتصور إلا مخلوقات لها حدود وصفات تعلم بها

وكيفيات تحد بها فجميع ما في الكون من السماء والأرض وما بينهما يعرفه العقل بالتصور والتوهم فلا شيء موجود وسواء كان شاهداً أو غائباً، جماداً أو حيواناً أو نباتاً إلا وله ارتباط بالتصور والتوهم؛ لأن كل شيء من ذلك له حدود ومقادير يعلم بها.

فالسماء مثلاً لها حدود وصفات تعلم بها فلها حد من جهة الناظر إليها كان يمكن أن يزاد فيها فتكون أقرب إلينا مما كانت عليه، ولها حد من جهة فوق تنتهي إليه، وكونها كالبيضة حاضنة لكل ما انطوت عليه هي صفة من صفاتها، وكونها زرقاء موافقة للأبصار كذلك، فالسماء قبل وجودها وقبل خلقها يمكن للعقول أن تتوهمها وتصورها؛ لأنها مخلوقة لخالق إذا وجدت ومصنوعة لصانع إذا صنعت، فالتفكر فيها والتصور والتوهم لها قبل وجودها ليس بمحال؛ لأنه شيء ممكن، وعلى ذلك فقس بقية المخلوقات ما قد وجد منها وما لم يوجد.

انظر في الشمس وفي صفاتها كونها مثل الكرة وكونها مشعة صافية كان يمكن أن تكون أكبر أو أصغر مما هي عليه، وأن تكون مربعة أو مثلثة أو مخمسة كالنجمة أو تكون مستطيلة، وكان يمكن أن تكون حمراء خالصة أو صفراء أو زرقاء أو وردية أو غير ذلك من الصفات، فالشمس وجميع أوصافها يمكن أن يتوهمها ويتصورها أصحاب العقول قبل وجودها وما ذلك إلا لكونها مصنوعة من قبل صانع، وكان يمكن أن تكون قريبة منا أو بعيدة وسريعة في مضيها أو بطيئة وكل ذلك دلائل الحدوث

والصنع فكل ما يمكن أن يتصوره أو يتوهمه العقل سواء قبل وجوده وصنعه أو بعد وجوده ووقت اختفائه فهو محدث يمكن أن يوجد بعد العدم ويمكن أن يعدم بعد الوجود.

انظر في البحر مثلاً له حدود ومقادير وصفات يعلم بها وكان يمكن أن يتوهمه المتوهم ويتصوره المتصور قبل وجوده، وكذلك يمكن لمن لم ير البحر بعد وجوده أن يتوهمه أو يتصوره، وعلى ذلك قس بقية المخلوقات والمصنوعات قبل وجودها وبعد حدوثها، بخلاف الخالق جلت قدرته فهو سبحانه لا يُتوهم ولا يتصور لا قبل معرفته ولا بعدها، فلا يعرف سبحانه وتعالى إلا بمخلوقاته، فلا يجوز التفكر في رب العزة وفي صفاته، فالتفكر في شيء من ذلك إلحاد كما قال الوصي سلام الله عليه: (من تفكر في الخالق ألحد، ومن تفكر في المخلوقات وحد) فالعقل إذا شرع في التصور والتوهم فهو سارح في ميادين المخلوقات والمصنوعات والمجعولات فمن عبد ما يتوهمه عقله فقد عبد غير الله سبحانه وتعالى، وسواء توهمه في سماء أو في أرض أو فوق أو تحت أو يمين أو شمال، أو على كرسي أو بدون، أو من ذهب أو من فضة أو غير ذلك؛ لأن المتوهم إذا توهم ذلك فلا يتوهمه إلا وله حدود يعلم بها من كبير أو صغير، من حيوان أو جماد، وفي جهة من الجهات وعلى كيفيات يعلم بها، وكل ذلك دلائل الحدوث فيه موجودة وقد سبق جميع ذلك العدم، فلا معرفة لله سبحانه إلا بما أوجد وأبدع من مصنوعاته التي خلقها من العدم.

كان الله سبحانه وتعالىٰ موجودًا ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا أشجار ولا أثمار ولا بر ولا بحر ولا نور ولا ظلام، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد]، لا أول لوجوده، بخلاف المخلوقات فقد سبق وجودَها العدمُ أوجدها لا من شيء، بخلاف إيجادنا لبعض المصنوعات فنحن نوجدها من أشياء موجودة، البيوتُ مثلاً نوجدها ونبنيها من الطين والإسمنت والحجارة، والله هو الذي أوجد لنا الطين والماء والحجارة والبطحىٰ وأحجار الإسمنت، فشغلنا في البيوت والمصنوعات التي صنعها الإنسان هو التركيب والتجميع لأشياء موجودة أوجدها خالقها وخالقنا من العدم.

ألا ترىٰ إلىٰ صنع الله في الحيوان والنبات التي رأيناها بأعيننا ونظرنا في وجودها بعد العدم بعقولنا، فمن أين وجد اللحم والدم والعصب والعظام وجميع الجوارح في كل حيوان! حتىٰ النطفة التي خلق الله كل حيوان منها هي كذلك مخلوقة، وكذلك الصوف والشعر والبشر أوجده ربنا من العدم، وما في بطون الحيوان من اللبن ومشتقاته أوجده الله من العدم بعد أن لم يكن، وكذلك النبات وجدت بعد العدم، وأوجد الله الأثمار كذلك من العدم، فلا يحتاج في تصنيعها إلىٰ مواد مثلما يحتاج الإنسان في صناعته إلىٰ المواد التي يصنع منها الأشياء، فالإنسان يصنع الأشياء بجوارحه وفكره وقدرة محدودة، والله سبحانه يصنع الأشياء بغير جوارح ولا فكرة؛ لأنها من صفات المخلوقين والله منزه عنها، وهذا معنىٰ قول أمير المؤمنين عليه السلام: (باينهم بصفته رباً كما باينوه بحدوثهم خلقاً).

نعم، كل ما شاهدنا وعرفنا في هذا العالم هو إما حيوان أو نبات أو جماد، فلا يخرج شيء مما في هذا العالم عن هذه الثلاثة الأشياء، وكلها مصنوعة مقدرة محدودة، والله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص].

فالواجب على المكلف أن يعرفَ اللهَ من خلال النظر في مخلوقاته بكونه موجوداً قادراً عالماً سميعاً بصيراً لا بآلة وحواس مثل الإنسان فالله منزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الطارق]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾ [يس].

فقد دلنا الله سبحانه على الطريق الموصلة إلى معرفته من خلال النظر في مخلوقاته فلا يوجدها إلا قادر على جميع المقدورات، ولا يتقنها إلا عالم بجميع المعلومات، فالأشياء بقدرته ناطقة وعلى

صناعته المتقنة، شاهدة فهو المحيط بكل شيء قدرة وعلماً ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ:٢]، جعل لكل حيوان حياة وقدرة وإلهاماً لمصالحها، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

من الذي خلق الشهوة في كل حيوان لأجل التزاوج حتى يستمر النسل ويتكاثر؟! من الذي ألهم كل أنثى العناية التامة بصغارها! من الذي أوجد لها -أي: للصغار- الغذاء في البيض وفي بطون الأمهات إلا خالقها ورازقها سبحانه عما يقول الظالمون وتعالى عن صفة المخلوقين علواً كبيراً؟!

انظر إلى قدرة الله وعلم الله وحكمته في الصغير من مخلوقاته الحية وما أودع الله فيها من الصناعة البديعة فإنك عند النظر تسبح لخالقك وخالقها، ويحتار عقلك في دقة صنعتها.

تأمل في النملة على صغر حجمها من الذي جعل لها أيد وأرجلا ومفاصل تحركها فلولا المفاصل ما تحركت في طلب معايشها؟ لها إلهام من الله لمعاشها والهروب والتخفي من عدوها، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴿١٨﴾﴾ [النمل].

لها سمع وبصر وجهاز تنفس وجهاز تناسلي ومداخل لغذائها تنام لترتاح وتستيقظ، الله عالم بها في حال عافيتها وفي حال

مرضها، وعالم بمقدار أكلها وكم عدد أيامها، يزرع الزارع الحب والله عالم بكل حبة تصل إلى النملة أين محلها ومتى تصل إليها وكم يكون من هذه الحبة نصيبها، ألهمها الله بأشياء لم يطلع عليها الإنسان فإذا وقع أكل في مكان وليس في ذلك المكان نمل موجود ما تلبث إلا يسيراً وقد تواجد النمل لأخذ رزقه من بقية وجبة الإنسان، خلق الله فيها سمًّا للدفاع عن أنفسها سلاح مركب فيها وضر على غيرها تسرح في طلب معاشها وتروح لترتاح من متاعبها، تستنجد بأمثالها إذا رأت حملاً ثقيلاً تُعرِّف مجتمعها بالأمور المخيفة وهم يصدقونها، فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى وأحاط بكل شيء قدرة وعلماً!!

ثم قال سلام الله عليه ورضوانه: (والعدل ألا تتهمه) نعم، أفعال الله وأقواله وأوامره ونواهيه وعطاؤه وأخذه منطوية على الحكمة البالغة فهو يخلق ويرزق ويعطي ويمنع على مقتضى الحكمة جلت قدرته. فالواجب علينا الإيمان بذلك إيماناً لا يخالطه ريب ولا شك، فكم ردد سبحانه في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما هذه الكلمة الدالة على ما ذكرت وهو أحكم الحاكمين، فحكمته منوطة بجميع ذلك سواء عرفنا وجه الحكمة أو جهلناها، لا يسعنا إلا الإيمان بالحكمة؛ فمن توهم خلاف ذلك ولو في أقل قليل من ذلك فهو مخلول في دينه، شاك في عقيدته، متباعد عما عليه ملائكة الله وأنبياؤه وأئمة

الهدى من أهل بيت نبيه، ألا ترى لو أن قائلاً قال: هذه العقرب مثلاً خَلْقُها عارٍ عن الفائدة فليست إلا ضراً محضًا وكذلك الذباب والنامس وكل المؤذيات فلا وجود للفائدة فيها لا من قريب ولا من بعيد- لخرج بذلك عن العقيدة الصحيحة وصار في جملة من يقول على فرض: أنا أدين الله بأنه حكيم في أفعاله إلا في هذه المخلوقات المؤذية فخلقها عبث عار عن الحكمة، فإنه يكون بذلك كافراً، ومن دين الله القويم خارجاً، فكل ما خلق الله سبحانه وتعالى فيه منافع دينية ودنيوية، وكذلك ما كلفنا الله به جلت قدرته وما أعطانا أو منعنا كذلك، فهو العالم بمصالح خلقه، ولله عاقبة الأمور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تتمة لشرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: (والعدل أن لا تتهمه) اعلم أنه قد يجيء الإشكال على بعض الطلبة فيما لم يظهر وجه الحكمة فيه من أفعال الله وأوامره ونواهيه وعطائه ومنعه غير أنه يجب علينا التسليم لأمر الله في جميع ذلك سواء عرفنا وجه الحكمة كما سبق أم جهلناها فالله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة، انظر في قصة السفينة التي خرقها الخضر كيف رحمة الله محيطة بالمساكين في لقمة عيشهم لئلا يأخذها الملك الظالم، وكذلك قتل الغلام لرحمة الله بوالديه المؤمنين قال تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف]، وفي بناء الجدار على كنز اليتيمين ما يكفي موعظة وعبرة لأولي الألباب، فإذا وجدنا شيئاً من أفعال الله وجهلنا وجه الحكمة في ذلك الشيء فلنعلم ولنتيقن أن الحكمة بذلك منوطة كالسفينة والغلام والجدار، مثلاً عندما نجد معوقاً أو معوقين فهذا ناقص من أطرافه، وهذا في بعض حواسه وجوارحه، وهذا مقعد أو غير ذلك، فلنعلم ونعتقد وندين الله بأن حكمته منوطة بخلقه لذلك المعوق كحكمته بخلقه لذلك السوي، فقد وضع الله عن ذلك المعوق بعض التكاليف الشرعية وعرَّضه على الخير الكثير بسبب الصبر إن هو رضي بتلك البلية، وأنه بتلك الحالة موعظة وعبرة لأصحاب العافية والكمال في أبدانهم، فإن حمد الله على ذلك وشكر الله كذلك وقال في نفسه: ﴿فَعَسَى أَنْ

﴿تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، فهو من خاصة الله وخلاصته، وعليه أن يسلي نفسه بما يقع من أهل العافية من البطر والأشر والتكبر والتجبر والفسوق والعصيان والغفلة عما يراد بهم والنسيان وسيظهر له وجه الحكمة، فسبحان المحمود في السراء والضراء، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

التفكر وفضله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد..

بعد أن دار الكلام بيني وبين بعض الإخوان حول التفكر وفضله وما ورد في مدح أهله في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال الوصي والأئمة والحكماء- استحسنت أن أذكر شيئًا من ذلك، وعلى الله توكلت، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور).

قال بعض الإخوان: ففي أي شيء يتفكر الإنسان؟

قلت: في عدة أمور، وأحق بالتفكر طلبة العلم الشريف الذين قد قرأوا بعض كتب الأصول.

الأول: في نعمة الله عليك بالستر، تذكر كم قبيح أتيت والله شاهد عليك فلم يفضحك بين خلقه ولو شاء لفضحك، بل

سترك ورفعك في أعين الكثير ممن عرفوك، فهم يعظمونك ويحبونك ويطلبون منك الدعاء وأنت تعلم أنك قد اغتبت بعضهم مرارًا وتكرارًا، ولو أطلعهم الله على شيء من ذلك لَصَغُرْتَ في أعينهم ووقعت لك العداوة في صدورهم وتغيرت نظرتهم إليك. فهل فكرت يومًا من الأيام في ذلك فشكرت الله على الستر لك بين خلقه؟ وهل شكرت الله لأنه لم يعاجلك بالنقمة عند اقترافك للآثام؟ وهل استغفرت الله لتباعدك عن الاستغفار من ذلك؟

فيحق لكل عاقل أن يستحي من الله حق الحياء، وأن تسوءه سيئته، قال الوصي عليه السلام: (سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك). فالواجب على كل عاقل أن يعرف نعمة الله عليه بالستر، ويعتقد أنه مقصر في شكر الله، ويتوب إليه ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا، ويستحضر مراقبة الله له في حركاته وسكناته وفي سره وعلانيته، ويردد على قلبه وسمعه قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة٧].

انظر إلى نعمة الله علينا بهذه الآية ورحمته ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴿٢٤﴾﴾ [محمد] فقد بلغت الموعظة بقوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ منتهاها.

فإذا علمت وتيقنت أنك بارزت ربك بالمعاصي وتخفيت من خلقه سواء بالفعل أو القول أو العزم والإرادة فعليك أن تستقبح ذلك من نفسك، وتقول: كيف لو أخذني الله حال العصيان غير تائب، فكم من عاص عاجله الله بالنقمة، وأنا أمهلني ولم يكشف ستري، ولم يمنعني خيره، بل أسبل علي نعمه الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، ودعاني إلى باب رحمته الوسيع بألطف نداء: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]. فيحق لك بعد ذلك أن تغير النظرة بقلبك إلى خالقك الرحمن الرحيم وتقول: يا مولاي، من ألأم مني عبدًا، ومن أكرم وأرحم منك ربًّا، آكل نعمك وأتغذى بخيراتك وأكتسي عافيتك ثم أبارزك بالمعاصي وأتخفى من خلقك، أفرح بمدائح المادحين، وأنسى مراقبة رب العالمين وما أودع فيَّ من آلات الرصد، فاليدان والقدمان والعينان والأذنان علي يوم القيامة شاهدة، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿٦٥﴾﴾ [يس] ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت] ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴿٩﴾﴾ [الطارق]، وغير ذلك كثير.

فعند ذلك يحق لكل عاقل أن تطول حسرته على ماضي عمره، ويردد قول العصاة يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا

فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١١﴾﴾ [الملك]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

فإذا أمعن النظر فيما ذكرت دعاه ذلك إلى عدة أمور:

أ- شكر الله من صميم قلبه.

ب- الاستغفار والتوبة النصوح من صميم فؤاده.

ت- أنه لا يغتر بمدح المادحين، بل يسمج عند سماعه؛ لعلمه ببعض معاصيه التي بارز الله بها وهو له ساتر.

ث- المحبة الخالصة لله على ستره وعدم المعاجلة وإسبال نعمه عليه وقبوله لتوبته في أي وقت ندم ورجع.

وتمامًا كما قال رسول الله ﷺ: ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه..)) الحديث. صدق الله العظيم القائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم٣٤].

الثاني مما يتفكر الإنسان فيه: نعمة الله عليك أيها الإنسان بهدايتك إلى دينه القويم وصراطه المستقيم، أنت في مجتمع ومن أمة كثيرة العصيان، فهذا ضال في عقيدته معادي لأهل بيت نبيه، وذلك قاطع صلاة، وآخر سكران أو زان والعياذ بالله، وبعضهم عون للظالمين، وفيهم آكل الربا وعاق والديه وقاطع الرحم، وكم وكم إلى آخره.

فعليك أن تمعن النظر في ذلك جيدًا، وتحمد الله حمدًا بليغًا، وتعلم أنك ضعيف سهل الانقياد لهوى نفسك وللشيطان

الرجيم، فكم من خليل سوء نجاك الله من شره، صرف الله عنك الدنيا المضلة رحمة منه تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى] ﴿..إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾﴾ [العلق].

فاحمد الله ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا، وقل في نفسك: كيف لو غطى الرين على قلبي وأكلُ السحت، وصرت في عداد من قال الله فيهم: ﴿..إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف]، فاحمد الله على ذلك واشكره كذلك، ودع نفسك تسرح في ميادين التفكر، فإنك مهما فكرت في نعمة الله عليك بالهداية وأسباب الهداية علمت قطعًا أنك مقصر في شكر الله غاية التقصير، وعند ذلك سوف يعظم الخالق الرحيم في قلبك، وتعظم الحسرة في نفسك، وما ذلك إلا لقلة التفكر والغفلة عن هذه النعم وأمثالها، فتقول حينئذٍ: يا أسفاه على ما مضى، إلهي، من ألأم مني عبدًا، ومن أكرم منك ربًّا، أنعمت علي بعقلي وسمعي وبصري، ولم تكلفني إلا دون الطاقة، وجعلتني من أمة خير نبي، هديتني بالقرآن المهيمن على كل الكتب، فكم في هذا القرآن العظيم من الأحكام والمواعظ والقصص والعبر! شرح الله لنا في هذا القرآن الجنة بأوصاف مختلفة، فتارة يرغبنا بالأنهار والأشجار والأثمار، وتارة بالحور الحسان والخدم والتعظيم

بمخالطة الأنبياء وتسليم الملائكة، وغير ذلك الكثير والكثير. وكذلك النار -والعياذ بالله منها- كم وصف لها في كتاب الله، وذلك لنا من الله رحمة كي لا نقع فيها.

ومن ذلك وصف الله لأهل الجنة في مواطن كثيرة في القرآن، ولو لم يكن إلا ما ذكر في آخر سورة الفرقان من وصف المتقين فتأمل في رحمة الله لنا ونعمته علينا، فهل تحققت رحمة الله البالغة في قلوبنا يوما ما، وشكرناه على ذلك حق شكره، أم نحن عن هذه النعم غافلون تائهون!! إنا لله وإنا إليه راجعون.

من طرق التفكر :التفكر في نعمة الله علينا بالعافية والرزق، تفكر أيها العاقل في كثرة الأمراض والمرضى، فلا تلقى طبيبًا متخصصًا إلا مزحومًا بين مرضى القلب والكبد والفشل الكلوي ومرض نفسي والمسالك البولية والغضاريف والمعدة والعيون والسمع ومرض في الدم وهشاشة العظام، وكل مرض متعدد في نفسه، وأمراض الجلد وغير ذلك كثير، بعض المرضى المتمكنين يركض وراء العافية بماله في عدة دول ولا يجد إلى ذلك سبيلا.

نَعَمْ، نِعَمُ الله علينا متجددة، فنعمة اليوم عليك غير نعمته بالأمس، ونعمة الأسبوع هذا غير نعمة الأسبوع الماضي، ونعمة هذا الشهر غير نعمة الشهر الماضي، بل نعمة الساعة التي أنت فيها غير نعمة ما قبلها، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

فكر في أثمان الجوارح والآلات التي أودعها الله فيك من يرضى بالدنيا وما فيها مقابل زوال عقله؟! ومن هنا نعلم عظم المعصية بالعقل من المكر والخداع والغدر وغير ذلك، وكذلك نعمة البصر فلو يعطى أفقر الناس في بصره ملايين القناطير من الذهب والفضة لاستخف بعقل من يعرض له ذلك، فعند ذلك نعلم عظم المعصية بالعينين، وشكر هذه النعم ألَّا تعصي الله بشيء من ذلك.

انظر اللسان وما أودع الله فيه من الأسرار البالغة، فبه تصيغ الكلام، وبه تفرق بين المطعومات والمشروبات على كثرة أنواعها، وبه تعرف ما شوقك الله إليه من ذلك في جنات النعيم، فلولا اللسان لما وجدَ فرق في أسعار المطعومات وكذلك المشروبات ولم يكن للعسل مثلًا فضل على غيره، وكذلك اللحم والسمن وغير ذلك، ولولا اللسان لما بلغت الرسل -صلوات الله عليهم- رسالات الله إلى البشر. وكم أودع الله في هذه الآلة من المنافع، ومن هنا قال المصطفى ﷺ: ((وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم)) لأجل نعمة الله بهذه الآلة.

كذلك آلة الشم، فلولا هذه الآلة العجيبة لما بلغت الأثمان ما بلغت في العود ودهن العود والعنبر والمسك، وكم عالَم يعيشون في العطور وأنواع البخور، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾،

فقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ﴾ ولم يقل: نعم الله، فالنعمة الواحدة لا أحد يستطيع عدها فما بالك بنعم الله كلها، وإذا حصل للإنسان رمد أو زكام تأذى من ذلك وبحث عن العلاج ولم يطق الصبر على ذلك.

وكذلك لولا نعمة السمع لما وجد على الأرض عالم من يوم خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، ولولا السمع لما حصل بيع ولا شراء ولا معاملات، فبالسمع نفرق بين الأصوات، فكل واحد يعرف كل واحد من الأسرة إذا طرق الباب ليلًا عندما يسمع كلامه، ولولا ذلك لحصل الفساد، وبالسمع نميز بين أصوات الحيوان وغير ذلك كثير، فالأصم يحس أنه معزول عن العالم، يتأذى إذا وقع كلام وضحك في حضرته، وقد يحصل له مرض نفسي بسبب فقد هذه الآلة، فلله المنة والحمد كثيرًا كثيرًا.

تفكر في نعم الله علينا بمداخل الغذاء ومخارج الأذى، فكم من مبتلى لا يدخل له الطعام إلا بالمواصير، ولا يتناول من الطعام إلا الشيء اليسير، ونرى بعضهم حاملًا لقربة البول في يده، والبعض يتبرز من غير مخرجه، والمعافى بخلاف ذلك يتناول ما شاء من الأطعمة والأشربة، يصل جميع ذلك بكل سهولة والله الذي يتولى هضمها وإيصال منافعها إلى دم الإنسان ولحمه وجلده وشعره ومخه وسمعه وبصره ورئته وكلاه وأسنانه، فكل

شيء في الإنسان يحتاج إلى الغذاء وما أودع الله فيها من الفيتامينات وغيرها مما يحتاج إليه جسم الإنسان، والله سبحانه الذي يتولى تيسير إخراج الأذى، وقد رأينا بعض من يحصل لهم إمساك حاد كيف يحتاجون إلى عمليات، وبعضهم يفارق من أجل ذلك الحياة، فسبحان ميسر الأسباب وفاتح الأبواب.

فأنت أيها العاقل تتمرغ بين هذه النعم وكذلك زوجتك وولدك، فلو حصل نقص من هذه النعم في أحد من أسرتك لحملت الهمّ كله، بل يود الإنسان في أغلب الحالات أن المرض الذي في الزوجة أو الولد ينتقل فيه من شدة الأذى، وصدق أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

الثالث: ما يحتار فيه العقل حكمة الله في أرزاق العباد، فهو الذي خلقنا وخلق جميع الحيوان، وأودع أرزاقنا في سمائه وأرضه، وهو ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فالسماء تمطر والأرض تنبت.

انظر إلى الزرائع والأشجار كيف أودع الله فيها سر تناول المعادن من الأرض على حسب مصالح العباد، فالبر مثلا فيه مواد تخالف بعض المواد الموجودة في الذرة، وكذلك الشعير والعدس والرز وغير ذلك من أنواع الحبوب، فهي تبذر في أرض واحدة وتربة واحدة وتسقى بماء واحد وكل شيء منها له خاصته ولونه

وذوقه ومنافعه، وكون هذا منها مرغوبًا عند شخص دون آخر لنقص في جسمه، فالجسم هذا يطلب ذلك ويشتهيه بخلاف الآخر لوجود تلك الخواص في جسمه، فسبحان القادر العالم بمصالح العباد ومنافعهم!!!

وكذلك اللحوم أنواع مختلفة المنافع، وأنواع الأعناب كذلك، والتمور بينها اختلاف في ألوانها وذوقها ومنافعها، فسبحان من برأها وأوجدها من العدم المحض.

نعم، أهواء الناس مختلفة من أجل ذلك وقع الاختلاف في رغبات أصحاب البيع والشراء والمزارعين وأصحاب الحرف، فنرى الأغنياء من أهل البيع والشراء يقربون كل بعيد مما يحتاج إليه الناس في أوطانهم، وينظرون إلى النواقص مما يحتاج إليه أهل البلد، فيطمعون في زيادة الأرباح، فهذا يبيع في المشتقات النفطية، وآخر في قطع الغيار، وذاك يفتح له بنشرًا، فترى الناس في الأسواق قد أتوا بما يحتاج إليه الناس. وكذلك المنتجات الزراعية تختلف باختلاف الجو والمناخ، فهذا البلد مثلًا تزرع الموز، بخلاف الآخر، وتلك البلد تزرع الأعناب وبلد آخر الْبن، فسبحان من أفعاله منوطة بالحكمة البالغة!

فالنظر في هذه الأمور وما شابهها تزيد الإنسان بصيرة في معرفة خالقه الحكيم، وترسخ المحبة لمولاه الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نعم، من الخصال الحميدة والآراء السديدة والمكاسب المفيدة حسن الظن بالله وإظهار الافتقار إليه في كل أمورنا الدينية والدنيوية، ونعلم ونعتقد أنه لا غنى لنا عن مولانا وربنا وخالقنا طرفة عين، وكيف لا يكون ذلك وكل عِرْق فينا وعظم وعصب وعلقة دم تحتاج إلى عناية الله وحفظه، وإلا وقع الهلاك عند تفجر بعض العروق أو تجلط الدم أو توقف القلب وغير ذلك مما احتوى عليه جسم الإنسان، وكم حَفِظَنَا أرحم الراحمين من تسلط الحيات والعقارب وبعض هوام الأرض السامة، وكذلك السباع والوحوش المفترسة، كيف يكون حال الإنسان لو تسلط عليه ظالم من الظلمة أو فاجر من الفجرة في بيته وفي غير بيته على نفسه وأسرته وممتلكاته، مثلا يتسلط على سيارته بكسر الزجاج ووضع المسامير، وإذا أمكن وضع التراب في مكينتها أو سرقها أو أحرقها، وكذلك آلات زراعته إذا كان له زراعة من قطع الأشجار وقطع ليات السقي وخراب المكاين وكسر ألواح الطاقة وغير ذلك، أو تسلط عليه في بيته وعلى أسرته بإلقاء الحجارة في الليل لتخويفهم، وتارة بإلقاء الخرق الحارقة وكذلك إحراق حطبه وغير ذلك، وصدق أرحم الراحمين: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

فعليك أيها العاقل بإظهار الافتقار إلى ربك الكريم، وكم رأينا من أناس يتجرعون مرارة الهم من أذية بعض الفسقة الغافلين

يتسلطون عليهم بالشجار ظلمًا وعدوانًا ويجرونهم إلى الحكام ليأكلوا أموالهم بغير حق، فالإنسان في أمس الحاجة إلى خالقه الرحيم، وإظهار الافتقار في كل شأنه إلى مولاه الكريم، وترسيخ حسن الظن في قلبه، ولا سيما في الأشياء التي تكرهها النفوس ففي خلاف النفس رشدها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء١٩]، ودليل ذلك ما قص الله في سورة الكهف، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار على كنز الغلامين، ولله في خلقه شئون، وهو أحكم الحاكمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الحمد لله

لو فكر المتزوج في نعمة الله عليه بالزوجة المؤمنة التي أودع الله في قلبه لها محبة وألَّف الله بينه وبين أهلها، فهم يرتاحون لراحته وراحة بنتهم وحال كونها سليمة من الأمراض، وكذلك الطباع السيئة من الحماقة وعدم المبالاة بكلامه، وكذلك محافظتها على حلاله وعلى احترام أرحامه، فهي توثّق العلاقة بينه وبين أرحامه وتحثه على ذلك، وكم وكم من الفوارق التي يتمنى بعض الناس الموت من مشاكل العلاقة الزوجية، بعضهم يكره زوجته إذا رآها بل يتضجر إذا ذكرها ولم يمنعه من فراقها إلا قلة ذات يده أو أطفاله منها؛ لعلمه أنه إذا فارقها ضاعوا، فهو في هم وغم.

وآخر لم يكره زوجته بل يحبها وهي كذلك غير أن لها أبوين أو أحدهما قلبه قاس، فهما ينغصان عليه لذته بزوجته، يريدان أن تكون لهما السلطة على بنتهما فهي لبيت والديها ملازمة وإن مات زوجها كمدا أو بِنْتُهما كذلك ولم يرعيا أي مصلحة لبنتهما، وإذا علما من زوجها التأذي أو الغضب زادا في العناد، فلا يكاد الهم يفارق قلبه ليلًا ونهارًا، حتى إن بعض الناس يضطر إلى مفارقة زوجته. وهذا شيء معلوم عند كل من نظر في أحوال مجتمعه.

وآخر له زوجة وليس هناك منغصة مما ذكر، فهو يحبها ولها أبوان مؤمنان يسترَّان غاية السرور براحة بنتهما وزوجها، غير أنها

مبتلاة ببلاء شديد فالهم لقلب زوجها ملازم فلا تراه إلا في صيدلية أو مستشفى، وأكثر وقته ملازم للبيت، وإذا اتجه لمقرأ أو عمل فقلبه مشغول.

والبعض يرزقه الله بزوجة صالحة وفيها كل الخصال الحميدة من خَلْق وخُلُق وأدب ورفق وبركة في كل شأنها، تربي أولادها تربية حسنة، وتبر والديه وأرحامه، فحبها يزيد في قلب زوجها يوما بعد يوم، يسعد إذا قدم عليه الضيف وينشرح صدره إذا دخل بيته أو مجلسه، ويوما من الأيام تفارق هذه الزوجة الحياة وتترك زوجها أشبه باليتيم المجفو عديم الحظ والقبول.

ذات مرة سمعت رجلًا يذكر قصة رجل آخر، قال: زرت أنا وأحد الإخوان المقبرة فأخذني إلى قبر وقال: أتدري من في هذا القبر؟ قلت: لا. قال: هذه زوجتي السابقة رحمة الله عليها! فتعجبت وقلت: كيف كانت حياتك معها؟ فأجابني قائلًا: أتمنى أن تعود إلى الحياة وأجلس معها ليلة وفي الصباح نموت جميعًا.

وكم كان خير البشرية صلى الله عليه وآله الطاهرين يتحسر على أمّنا الطاهرة سيدة نسائه خديجة بنت خويلد، ويقسم بالله يوما لإحدى نسائه: إن الله لم يبدله خيرًا منها، ويذكر شيئًا من ذلك قائلًا: ((لا والله ما أبدلني الله عز وجل خيرًا منها، آمنَتْ إذْ كفر الناس، وصدّقتني إذْ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذْ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء)).

وكم كان يعدد من خصالها الحميدة، رحمة الله عليها ورضوانه.

ومن أجل برِّها لرسول الله وطهارة قلبها ورجاحة عقلها وصدق نواياها وصبرها وإدخالها على قلب رسول الله السرور في أوقات الشدائد حتى وهي في مرضها الذي توفاها الله فيه- أخبرها رسول الله أنه قد زوجه الله لا أدري قال: بمريم بنت عمران أم بآسية بنت مزاحم، فقالت مباركة: بالرفا والبنين يا رسول الله. فلأجل ذلك كله رزقها الله فاطمة البتول الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فعلى العاقل أن يفكر في نعمة الله عليه بالزوجة المؤمنة المعافاة، ويذكر نعمة الله عليه بحبها في قلبه وحبه في قلبها، وعدم الأذية من أبويها وغير ذلك، فذلك أدعى لشكر الله، وإذا كان عنده بعض المشاكل في الحياة الزوجية فيذكر من هو أشد منه بلاءً. ومهما نسيت فلا أنسى مواعظ وحكم شمس الزمان الراحل سيدي ومولاي وشيخي الطاهر المطهر حسين بن يحيى سلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا، فحياته كلها حكم ومدرسة لأولي الألباب، زرته يومًا وكنت مشغولًا ببعض الأمور العائلية وهو يعلم ذلك وكان معي بعض الإخوان، فلما رآني التمس في وجهي الهم والضجر وكان حليما سلام الله عليه ورحمته وبركاته، فخاطبني قائلًا: أتدري ما أصاب فلانًا من البلاء؟

قلت: لا يا سيدي. قال: حرقت كريمته بالغاز حتى العورة، وقد أسعفوها إلى المستشفى في أسوأ حالة. فلما سمعت ذلك منه كأنه نعشني بسلك كهرباء وتصورت أسرتي جميعا النساء والبنات والأولاد وهم يترددون في المطبخ مع وجود الغاز وبثياب النايلون فوقهم ولعب الأطفال بالولاعات والأكياس الحارقة وغير ذلك، وكم قد مضى علي وعليهم من الزمان والله لنا حافظ، وما فكرت في هذه المصيبة قبل سماعي لكلامه في ذلك اليوم، فكأنه عرف ذلك في وجهي وتغير شعوري، فلا زال طوال الجلسة يردد إلي نظره وأنا ساكت، وكلما تكلم مع الآخرين التفت مصوبا نظره إلي، وفي الأخير قال: أتدري لأي شيء أخبرتك بقصة هذه المحروقة؟ قلت: لا يا مولاي. قال: لأني التمست في وجهك الهم، فأردت أن أخبرك بما هو أهم وأشد مما أنت فيه؛ لتهون بليتك عليك. فلا زال الخوف من ذلك اليوم ملازمًا لقلبي من هذه المصيبة، وأذكر نعمة الله علي وعلى أسرتي بالسلامة من الحريق، كيف لو حرقت الزوجة أو البنت أو الولد الصغير أو غير ذلك، فلله الحمد على نعمه التوام وآلائه العظام.

ومن حكمه ونظراته السديدة: أني صحبته يوما إلى مزرعة بعض الإخوان في وقت خريف، فأخذ في يده الكريمة عنقودًا من العنب البياض فوقعت قطعة من العنقود إلى الأرض بين العلف فتتبع كل حبة من العنب حتى غلب في ظنه أنه لم يبق بين العلف

حبة واحدة، وقال لي: لم ألقط العنب حرصا مني عليه ولكن شكرًا للنعمة، فالنعمة إذا لم تقابل بالشكر فقدها الإنسان. ولقد -والله- أثر فعله وقوله في قلبي -ولله الحمد- إلى وقتنا هذا وقبل هذه النصيحة كان الأهل والأولاد يأكلون الرمان ويبقى بعدهم ما يقارب ملء الكوب حبوبًا متناثرة وغير ذلك من النعم، وبعد نصيحته رحمه الله أخاف إذا رأيت شيئًا من ذلك وأذكر فعله وقوله، فقدس الله روحه في أعلى عليين، لقد أرشدنا ووعظنا حيا وميتا، وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نصيحة موجهة للمرشدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله

من نعم الله علينا في هذا الزمان البالغة وأياديه الجليلة ما يسر الله لأوليائه وفتح عليهم من هداية الناس وإرشادهم إمام زماننا الراحل حجة الله على خلقه سيدي ومولانا مجد الدين بن محمد المؤيدي قدس الله روحه في أعلى عليين، ونائبه الطاهر شمس زماننا المشرقة والدوحة العلوية المورقة من عافى الله به مذهب الحق بعد المرض المدنف فقد كاد أن يهلك وتندرس آثاره لولا تداركه الله بمولانا وقائدنا سيدي حسين بن يحيى بن الحسين رحمه الله رحمة الأبرار، ثم من قام مقامهما أحسن قيام عالما ومعلما

ومفتيا وهاديا نجم الزمان الظاهر وسيف الهاشميين الباتر، نسخة من المصطفى في أخلاقه وتواضعه وصبره وعلمه وحلمه سيدي وشيخي محمد بن عبد الله عوض حفظه الله بما حفظ به الذكر المبين آمين.

نعم، الإرشاد هو الذي بعث الله وأرسل الأنبياء من أجله، فلا شرف أشرف من أنبياء الله وما جاءت به؛ لأنهم أُرسلوا لإنقاذ الأمم وهديها، فالمرشدون سالكون مسلكهم وسائرون على طريقتهم، فيجب عليهم التأسي بأخلاقهم الكريمة وأفعالهم وآرائهم الحكيمة، من ذلك ما حكى الله عن خير خلق الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، وعلى ذلك تحدث القرآن عن أخلاقه الفاضلة وأوصافه الكاملة، صلوات الله عليه وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

ومن ذلك ما جاء عن إخوانه المرسلين من الصبر والتلطف والإغضاء ودفع السيئة بالتي هي أحسن، انظر ما لقي يوسف من إخوانه من الحسد والظلم وتعريضه للرق وللعصيان في بيت العزيز وللسجن وغير ذلك، وكيف واجههم بالإحسان عند قدومهم عليه ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ

رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿١٠٠﴾ فلم يذكر كذبهم على والدهم ومكرهم، ولم يذكر إلقاءهم له في البئر، بل قال واكتفى بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

من أجل ذلك الصبر وتلك الخلق الفاضلة ملَّكه الله خزائن القوت؛ لعلم الله برفقه وتعطفه ورحمته على الضعفاء والمساكين، فلما أمَّن الله قوت الضعفاء على يد أمين من خلقه وقع القحط الشديد سنين متعددة، فسبحان من حكمته منوطة بأفعاله وأقواله وأوامره ونواهيه وأخذه وعطائه.

نعم، فالعلماء ورثة الأنبياء، والمرشدون يمثلون العلماء.

فعلى المرشد أن يصبر نفسه على كل مكروه، وأن يحسن أخلاقه في محاوراته مع الناس، يبرهم وإن جفوه، ويصلهم وإن قطعوه، ويتواضع لهم وإن ترفعوا بجهلهم عليه؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وطمعا في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلاح شخص واحد يعد ربحا عظيما ومكسبا جسيما، قال المصطفى ﷺ: ((يا علي، لئن يهدي الله على يديك رجلًا خير لك مما طلعت عليه الشمس))؛ لأن الإرشاد في ذاته رضا لله ولملائكة الله وأنبيائه وأوليائه، ألا تسمع أيها المرشد إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾، والملائكة عليهم السلام حكى

الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وأنت أيها المرشد تريد من الناس أن يفعلوا ما أمرهم الله به اقتداءً بالملائكة، فهم بعمل المرشد راضون غاية الرضا.

ثانيا: أنك تدخل بإرشادك السرور على الحفظة خاصة، ولا سيما حفظة من أصلحتهم من الناس، فقبل إرشادك لمن أصلحتهم كان الملائكة يتأذون بما يصدر من العصيان من الأفعال المحرمة والأقوال الباطلة والخصال السيئة، فلما هديتهم وأصلحتهم تغيرت أفعالهم من محرمة إلى واجبة ومسنونة ومندوبة ومباحة، وأقوالهم كذلك، فاحمد الله على ذلك، وجدّ واجتهد أن تكون من أحسن المرشدين إصلاحا لخلقه وتأدبا بآداب نبيه، وسيمنحك الله بصبرك وجهادك لنفسك الذكر الحسن ثوابًا من الله عاجلا، فيكون كلامك مؤثرًا في قلوب الغافلين وتكون ممن قال فيهم الوصي عليه السلام: (يهتفون بالزواجر في أسماع الغافلين) وقوله: (حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمع الناس).

وأما إدخالك بالإرشاد السرور على أنبياء الله فلأن ذلك ديدنهم وتلك الطريقة شَغْلَتهم، فلم يبعثهم الله إلا بهذا.

واحذر أيها المرشد أن تحقّر ما عظّم الله، وتتأذى من عدم الإقبال أو من الجفوة من بعض الناس، فيقودك ذلك إلى ترك الإرشاد أو التهاون بالإرشاد والاستخفاف بنتائجه، فمَنْ هذا

حاله فقد حقر ما عظم الله؛ ولذا قيل: «واضع العلم عند غير أهله كمن يقلد الكلاب والخنازير الذهب والفضة» فاحذر أن تكون من هذا الصنف.

نعم، وإدخالك السرور على المؤمنين وعلى الضعفاء والمساكين فلأن بعض المؤمنين كان يعاني في قريته المرّ وأَمَرَّ منه من بعض العصاة القساة، فلما استجابوا لداعي الله تحولت العداوة والقساوة إلى رفق وولاية، وصاروا يرحمون الضعيف ويعطونه، فأمن الناس على حرمهم وممتلكاتهم، ووُصِلت الأرحام بعد القطيعة، وتعاونوا بينهم على البر والتقوى، بعد أن كانوا مصرين على الظلم والعدوان، فهل هذا إلا عمل الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، فالسعيد -والله- من أخذ بحظ وافر في هذه الطريقة، وتخلق بهذه الخليقة، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وأما نعمة الله على الطالب فليحمد الله على توفيقه وتسديده بأن هداه لطلب العلم الشريف، وعلى كل أهل مدرسة كذلك أن يشكروا الله شكرًا بليغًا، وأن لا يحقروا هذه النعمة الجليلة، ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

بعض الطلبة يحصل له يأس ويتحطم ويتعقد من طلب العلم ومن المذاكرة والتدرس لمعاشره، إما لعدم الحفظ، أو لقلة ذات اليد، أو لحاجة الزوجة وليس في يده حيلة، أو لحاجته إلى بيت، أو غير

ذلك، فعلى الطالب عندما يواجه مشكلة من هذه المشاكل أن يعلم أولًا أنه بطلب العلم وبحضوره إلى مجلس من مجالس العلم قد أرضى خالقه ولبى طلب مولاه، فطلبة العلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، كما ورد في حديث قدسي.

فإذا كانت مشكلته من عدم الفهم فما عليه إلا ذلك، والفهم رزق من الله، والرزق رزقان: رزق يعينك على طاعة الله إذا كان لك عقل راجح، ورزق يوقعك في الهلكة إذا انجريت لهواك وللشيطان الرجيم، فعليك أن تردد على لسانك: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فكم من ذكي يفقه ويحفظ العلم كشرب الماء وقد تحول من طالب مؤمن إلى شيطان رجيم بسبب الذكاء، وبعد أن كان وليًّا لله تحول إلى حرب لله ولرسوله وللمؤمنين، فعليك أن تفهم هذه السلبيات جيدًا كي تهون عليك بليتك.

وإن كان ذلك من ناحية قلة ذات اليد فاعلم أن الفقر حليف الأنبياء والعلماء والصالحين، فلا تلقى أحدًا منهم إلا وقد عانى من ذلك في أول عمره وفي بداية أمره، فلا يأتي أحدَهم الفرجُ إلا بعد الامتحان الشديد؛ حكمة من اللطيف الخبير ورحمة ممن يعلم السر وأخفى، ألا ترى ما أخبرنا ربنا في شأن الغلامين اليتيمين، قال عز وجل: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فسبحان من أحاط بكل شيء علمًا.

وإذا نظرت في الجادين في طلب العلم فلا يكاد يوجد بينهم ولدُ تاجرٍ إلا نادرًا، فاحمد الله على ذلك وجدّد عزيمتك، واعلم أن الفرج من الله جلت قدرته أقرب من بياض العين إلى سوادها، وكِلْ أمرك إليه فقد غذَّاك بنعمه وأنت في بطن أمك، وخلق لك فيها رزقًا بعد أن خرجت من بطنها، فما منعك المال إلا رحمة منه كي لا تقع في مستنقع البطر والأشر، وتماما كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴿٢٧﴾﴾ ﴿..إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴿٧﴾﴾.

فلا تحقر نعمة الله الخفية عليك فتعرض بذلك إلى غضبه الشديد، في الحديث القدسي: ((من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، ويشكر على نعمائي فليتخذ ربًّا سواي)).

وإن كان الذي غلب على مشاعرك وحطمك وصغّر طلب العلم في قلبك حاجتك الملحة إلى زوجة أو بيت أو سيارة أو غير ذلك- فاعلم أن الأمر بيد الله كما سبق، غير أن الله وعد عباده المتقين برزقين: رزق من حيث يحتسب المؤمن، ورزق من حيث لا يحتسب، فشغلك بالتفاكير خسارة، وجمع همتك في طاعة الله تجارة، فإبراهيم الخليل صلوات الله عليه وعلى آله لم يرزق بولد إلا بعد اليأس والكِبَر ونبي الله زكريا كذلك، وفي ساعة واحدة تفرجت عن نبي الله موسى الشدائد بعد تعبه وطلبه لمولاه كسرة

خبز قائلًا: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فيسر الله له ضيافة وتجارة وزوجة، وكذلك مريم بنت عمران البتول الطاهرة جاء الفرج إليها من حيث لا تحتسب في حالة من الضيق لم يعهد لها مثيل، ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ غير أن لها بالله صلة وثيقة وقد غمر قلبها الطاهر اليقين ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ صدق الله العظيم

فأنت أيها الطالب بطلبك للعلم وصبرك عليه بمثابة من يعامل في دايرة لإنجاز غرضه وحصول مطلبه ولو ترك المعاملة لحرم المطلوب، فأي قربة تتقرب بها إلى الله في تيسير ما لديه أشرف وأفضل من طلب العلم، وصدق المصطفى ﷺ: ((من جعل الهم همًّا واحدًا كفاه الله عز وجل أمر دنياه وآخرته، ومن تشعبت عليه الهموم لم يبال الله عز وجل في أي أوديتها هلك))، فاحذر أن يستولي الهم على قلبك، فتكفر نعمة الله عليك بالعلم فتخسر من أجل ذلك الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

فكر في من ترك طلب العلم راكضًا وراء الدنيا هل كل واحد حصل على مطلبه وتيسر له بترك العلم مأربه؟ أم أنك ترى بعضهم مرزوقًا والآخر محرومًا، وكذلك طلبة العلم الشريف ترى بعضهم محرومًا والبعض الآخر مرزوقًا، من هنا نعلم أن

الأمر كما قال الرازق ذو القوة المتين: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ غير أن الله ربط الأسباب بالمسببات، ومن أقوى الأسباب للرزق طاعة الله، وأي طاعة أبلغ من طلب العلم، فقد أخذت بأقوى الأسباب.

فاحذر أن يغرك الشيطان في دينك وفي دنياك فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة.

ومن الأسباب القوية لتيسر مطالبك قضاء حوائج إخوانك، فإذا كان لك جاه فاغنمه في طاعة الله، وقد روي أن المرء يسئل عن جاهه كما يسئل عن ماله، وكذلك صلة الأرحام هي من الأسباب القوية لتيسير الرزق، وكذلك الاستغفار.

نقطة مهمة يجب النظر فيها

انظر فيمن ترك المقرى للعلم كيف سُلبوا النور الإلاهي، فلا تراهم بحضرة طلبة إلا يتندمون قائلين: غرتنا الدنيا وتباعدنا عن المقرا، فلا هم طلبوا العلم وصاروا علماء ومرشدين، ولا هم حصلوا على التجارة والربح الدنيوي الكثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وما يعقلها إلا العالمون.

نصيحة لطلبة العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أي: تعظم؛ لأنه قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ دل ذلك أنها قد بنيت، ثم قال ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ الآية، فإذا كان الله يرضى منا بتعظيم بيوته -وهي المساجد- ويحبه منا بل أثنى على من يفعل ذلك ويحرم الاستخفاف بها ويكره عدم الاهتمام، فبالأولى والأحرى العلم ومدارسه.

نعم، زرت بعض المدارس وكان فيها طلبة من طلبة العلم وأكثرهم مزارعون وأصحاب أعمال دنيوية فأعجبني ذلك غير أني التمست منهم عدم الاهتمام بالمعاشر في كتب العلم فلا يكاد يهتم بالتدرس والمراجعة إلا البعض، وكأن المدرسة عند بعضهم دكان بيع وشراء، فجلست أتأمل ما هو السبب في الإهمال وعدم الاهتمام، فبعض الطلبة الحضور وعدمه عنده سواء، والبعض ينظر إلى الكتب بين يديه نظر المتضجر فتراه وقت المعشر يترك الكتاب إلا إذا طلبه المرشد واستحى منه، فساءني ذلك وعلمت أن كثيرًا من مدارس العلم على هذا النحو، فأرت من خلال ذلك توجيه نصيحة إن شاء الله.

اعلم أيها الطالب للعلم أنما أنت فيه وما يسر الله لك هو ما

جاءت به أنبياء الله صلوات الله عليهم وسلامه، فلم يبعثهم الله إلا بالعلم النافع، وقد رأيت كيف حال من استجاب لهم ومن لم يستجب، ومن تلقن الدروس عنهم ومن كان عنها غافلا، وكيف كان تحذير الله سبحانه وتعالى لمن سمع وعلم بوجود رسول الله فأعرض عن ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ فشنع الله عليهم بهذه الآية غاية التشنيع وتوعد بالانتقام منهم بعد أن سماهم مجرمين، فالمجرمون لهم عذاب خاص في نار جهنم وإهانة تقشعر لذلك الجلود، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ لأنهم قابلوا نعمة الله عليهم بالكفر وتركوا ما لا يتم النجاة لأحد من المكلفين إلا به، فالعلم خص الله به أفضل من مشى على وجه البسيطة، فهو أمانة في أعناق الأنبياء حتى يؤدوه إلى العوام وإن تعرضوا للأذى والسب والتهديد، ألا تسمع إلى قول الله تعالى مخاطبا لرسوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وغير ذلك كثير، وقد حاول المنافقون أن يفرقوا بين رسول الله ﷺ وبين طلبة العلم الشريف عندما جاءوا إلى رسول الله وقالوا: يا رسول الله، كبار القوم يأنفون من الجلسة والاستماع بين

هؤلاء الضعفاء والمساكين، فلو جعلت لهم جلسة خاصة وتركت الضعفاء كي لا يختلطوا بهم ويتأذى الكبار من مجالستهم وذلك أدعى لإجابتهم، فكاد رسول الله ﷺ يتأثر بكلامهم؛ رعاية منه ﷺ للإسلام، ذكر ذلك ومعناه الإمام المنصور بالله عليه السلام في شرح الأربعين السيلقية. وإذا بالقرآن ينزل مدويا من السماء كاد أن ترتج لذلك أطراف المعمورة نصرة للضعفاء والمساكين وغضبا على أعداء الله المنافقين وتنبيها لسيد المرسلين ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

فعلى المرشد وطلبته أن يتأملوا ما انطوت عليه هاتان الآيتان الكريمتان، من ذلك قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ في هذا دليل على أن الداعي إلى الله يتعب ويتأذى بين الطلبة، لا سيما البدائيين مما يلقاه من بَلادة بعضهم وعدم المبالاة والاستماع لمرشدهم ومن عدم الاهتمام بدروسهم، فهم يحتاجون إلى تعب وجهد جهيد حتى يرغبوا في طلب العلم، فمتى صار لهم رغبة فقد كسب المرشد

مكسبا عظيما وربح ربحا جسيما، فهو بحاجة شديدة إلى الصبر لحيث وقد أُمر به سيد الصابرين والمرسلين في هذا الموطن ﷺ، مثل المرشد في هذه الفترة مثل الرحم المجفوة التي قال الله لها: ((ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك)).

فما عليك أيها المرشد إلا المضي والصبر وستظفر يوما ما بضالتك المنشودة، ولك برسول الله ﷺ أسوة حسنة، وأنتم أيها الطلبة افخروا غاية الفخر بما أَمر الله رسولَه ﷺ في حقكم وما ألزمه في شأنكم، ألا تقرأون ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ نهى رسول الله أن يغيب بنظره عنهم مبالغة في تعظيمهم وتشريفا لمقامهم وما هم فيه من طلب العلم وتلقي الحكم وأن ما هم فيه من المسكنة والفقر أدعى للإخلاص؛ لأن الله أخبر بمغيبهم في قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فلقد -والله- أنعم على طلبة العلم وأثنى عليهم وشرفهم بوعظه لرسول الله ومن يمثله من العلماء والمرشدين في حقهم.

فعليك أيها الطالب أن تتقي الله وتخافه ولا تعرِّض أعظم نعمة عليك في هذه الدنيا إلى الزوال ألا وهي العلم وطلبه، فقد يسلب الله نعمته من المتساهل بهذا الشأن إما سمعه أو بصره أو عقله أو ألطاف الله عليه البالغة، ألا تسمع ما حكى الله عن المتساهلين المعرضين وما استحقوا بسبب الإعراض من رب العالمين، قال تعالى محذرًا لنا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي

ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ جزاءً على ما صدر منهم من الإعراض، وأول الآية يحكي لنا ذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾.

فاحذر أيها الطالب أن تكون ممن يتساهل بالمعاشر، فالمعاشر آيات قرآنية وأحاديث نبوية وكلمات للأئمة والعلماء سهروا عليها الليالي الطوال، وبذلوا في جمعها وتحصيلها كل الأعمار، فما لقيت إلا علوما حاصلة، فاحذر أن تكون من الأشقياء كما قال رسول الله ﷺ: ((يمنحه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء)). فلا تغتر بمن يتواجدون جلت أوقاتهم في الأسواق رغبة في الدنيا الفانية، فلو تتبع الواحد منهم شهره أو سنته أسواق اليمن كلها لم يساو ذلك كلمة من حكمة؛ لأن المصطفى ﷺ قال: (ما أهدى المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة سمعها فانطوى عليها، ثم علمه إياها، يزيده الله به هدى أو ترده عن ردى، وإنها لتعدل إحياء نفس، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)).

فاتق الله أيها الطالب وارْع ما أولاك الله من النعمة وجد واجتهد، واندم على ما مضى فتلك الهداية بعينها، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾ واعلم أنه لا بد من الاختبار في طلب العلم؛ لأنه من جملة التكاليف، بل من أهمها وجوبا وأجلها أرباحًا، فكثير من الطلبة لا يلقى من والديه أو من إخوانه تشجيعا على ذلك، بل يواجه العكس من ذلك.

فعليك أيها الطالب بالصبر الجميل على الجفوة والتحمل للقرابة كل ذلك من أجل العلم، وردد على لسانك دائما: ﴿..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ جعلنا الله وطلبة العلم والمؤمنين والمؤمنات من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

توجيه ونصيحة لطالب العلم خاصة وغيره عامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم أيها الطالب للعلم الباحث وراء النجاة أن النفس أمَّارة بالسوء كما حكى لنا القرآن ذلك، ومن أجل ذلك وغيره فرض علينا التكليف، وسمي التكليف تكليفاً لأنه مشقة على النفس، فكلمة «تكليف» تُشْعِر بذلك.

وهو نعمة من الله سبحانه وتعالى علينا فلولا التكليف لما كان هناك أي تفاضل بين الملائكة والأنبياء والأوصياء والأئمة والعلماء والمؤمنين، ولم يكن بيننا وبين الأنعام فرق، فسبحان المتفضل بما شاء على من شاء! ومن أهم ما كلفنا به وأعظم ما بلينا به مدافعة الهوى والنفس.

ألا ترى أيها الطالب إلى مديحة الله العظيمة ونعمته البالغة الجسيمة على من صيطر على هوى نفسه وقهرها، ووبّخها دائماً

وحقّرها، حين مدحهم وشرفهم وأكرمهم بقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، فشرفهم سبحانه وتعالى بإضافتهم إلى اسمه «الرحمن»، والرحمن هو المتفضل بجلائل النعم، والتكليف من جلائل النعم فبه استحق الأبرار مجاورة الأنبياء في جنات النعيم، وتسليم الملائكة عليهم في جنات النعيم، قائلين: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

نعم، نفس الإنسان تملي عليه وتنازعه من بداية أمره، فرغبته في الترفع من ابتداء عمره، فهو يحب أن تكون كلمته هي العليا ورأيه الصواب ومخالفة أشواره هو العذاب، فلا يرى لأحد من أصحابه رأياً فوق رأيه، ولا صواباً إلا ما جاء به، وهذه الخلائق تنازعه دائماً حتى يقهرها بعقله الراجح وفكرته الصافية وسماعه لأشوار الناصحين وتدبره لآيات أحكم الحاكمين.

وإن لم يعالجها بما ذكر ألقت به في مكان سحيق، ألا ترى من يرى لنفسه فوق قدرها أين وصلوا وأين حلوا ونزلوا؟! عميت بصائرهم وتحيرت أفكارهم وتاهت حلومهم، فهم يركضون وراء التعظيم والرفعة لكن من غير وجهها شبيه من يريد الصعود بلا حبل ولا سُلَّم، فبعضهم يعتقد أن العزة والكرامة في حطام الدنيا، وبعضهم يظن أن ذلك في التولي على الناس حتى يظهر من هذا حاله ويشار إليه بالأصابع، والبعض الآخر يظن أن ذلك في التلطف بالأخلاق الساذجة والتصيد لقلوب الغافلين، وكل ذلك

أماني كاذبة وكسراب بقيعة، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، فالله سبحانه وضع عباده المتقين وملائكته وأنبياءه عليهم صلوات رب العالمين في مواضعهم وأنزلهم فيما يستحقونه من درجاتهم فكلٌّ بما يليق به حقيق، فهذا له شهرة في أفعاله، وهذا في دعوته، وهذا في عبادته، وهذا خامل الذكر فلا يكاد يعرف بين جنسه، فالكل راضون بما هم فيه من درجاتهم وإن نزل منها فهو بذلك أسعد؛ لأنهم قد شغلهم عن الرفعة في الدنيا ما هم عليه قادمون وإليه لا محالة صائرون، فلذلك ومن أجل ذلك لا يرون الرفعة في الدنيا إلا كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء، فهم من الخوف ومن عذاب الله لأنفسهم يقهرون، ولأعمالهم الخالصة المرضية يحقرون نُصِب بين أعينهم: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴿٣٢﴾﴾ [النجم]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

فمن خرج من هذه الأخلاق الكريمة والآراء الحكيمة، طالباً للرفعة من غير وجهها- فقد باء بالخسران المبين، وجلب لنفسه السخط والمقت من رب العالمين، فالرفعة لمن رفعه الله وإن كان في أعين الناس وضيعاً، والضعة لمن وضعه الله وإن كان في نفسه وعند بعض الناس رفيعاً، فالرفعة والضعة من الله تقع كأسعار السلع المستهلكات، فمن اتقى الله وطلب بعمله الآخرة ارتفع وإن رغمت آناف الحاسدين، ومن طلب الرفعة من غير وجهها

فصدق عليه اسم الخاسرين، فأهل التقوى والمكانة عند الله لا يرون لأنفسهم ما يستحقون الرفعة من أجله وهم بمعزل من طلب المكانة في قلوب المخلوقين، ينظرون إلى طلب العزة من هذا الوجه نظر الناظرين إلى الجيف والكناسات.

فعليك أيها الطالب للعلم أن لا تغتر وتقول: أريد أن أكون كفلان رفيع الجاه والمعنوية، فأنا قريت كما قرأ وحصلت من العلوم مثل ما حصل أو أكثر فلا بد أن أملي على الناس كلامي وحكمي كي يعرفوني ويطلعوا على ما حوى قلبي من الحلم والعلم.

فالمسكين -والله الذي لا إله إلا هو- من هذا حاله، أعاذنا الله والمؤمنين والمؤمنات من طلب الجاه والرفعة من غير وجهها، وأسأل الله الرحيم أن يعرفنا قدر أنفسنا وأن يشغلنا بعيوبنا عن عيوب خلقه إنه سميع مجيب.

قال خير البرية ﷺ: ((رب أشعث أغبر ذي طمرين -أي: ثوبين باليين- لو أقسم على الله لأبره))، وقال ﷺ: ((من كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له))، وقال ﷺ: ((من أراد أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا، وأقرب له مما اتقى)). وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نصيحة إن شاء الله للمؤمنات العفيفات وللطالبات التقيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وإن كانت هذه الورقات التي كتبتها من البداية إلى النهاية نصائح للرجال وللنساء المرشدين والمرشدات وطلبة العلم الشريف والطالبات، وتوجيهي الخطاب للذكور تغليباً وإلا فالنساء شقائق الرجال، فما توجه في هذا الكتيب للرجال فهو قابل أن يتوجه به للنساء، نفع الله الجميع بما فيه، وأسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجنب أعمالنا جميعاً من المحبطات.

اعلمي أيتها الأخت المؤمنة أن الله سبحانه وتعالى قد أكرمك بآلات التكليف من العقل والسمع والبصر واللسان وغير ذلك تفضلاً من الله ورحمة وإحساناً منه ونعمة، فعليك أيتها المؤمنة التقية بتقوى الله الذي يعلم خفيات الأسرار، وتقوى الله: هي أن تنوي وتضمري في قلبك أنك لا تعصي الله أبداً، وأن تستمري في طاعته سرمداً، تفعلي ما أمرك به الله وتجتنبي ما نهاك عنه، ثم تكوني بعد ذلك ومع ذلك شاكرة لأنعم الله فنعم الله لا تحصى، وذاكرة لله في أحوالك كلها، فالله عز وجل يريد ويحب أن يطاع فلا يعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى، هكذا قيل في التقوى.

نعم، الله عز وجل فتح لك أسباباً كثيرة، وأبواباً للخير كبيرة،

وأنت في بيتك مقيمة، فعليك بطلب تلك الأسباب والدخول من تلك الأبواب، منها ومن أعظمها وأجلبها للخير طاعةُ الزوجِ بعد طاعة الله والوالدين، فالزوج نعمة من الله يجب شكرها، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم].

فمهما بالغتي في طاعة زوجك فأنت بتلك الطاعة شاكرة، وتفكري فيمن ليس لها زوج من النساء الكبار فإنها تحرم الثواب الكثير في زوجها، وأنتي تربحين ذلك إذا قمت بما به أُمرتي من بره والإحسان إليه وفعل ما يسره في بيته وفي نفسه وأولاده وأرحامه، فالأجر على قدر المشقة.

وكذلك من لم تكن ذات زوج فقد خفف عنها حقوق الزوج التي قَلّ من تفي بها من النساء.

نعم، كثير من النساء تذكر بخير في بيتها وفي معاملاتها وفي أخلاقها غير أنه لا بد لها من الاختبار والابتلاء فالشيطان لعنه الله يجد ويجتهد أن تكون لزوجها عاصية غير مطيعة في أغلب أحوالها، وهو يعلم لعنه الله أنها بعصيانها قد تعرضت لغضب الله الشديد ولعداوة أفضل من خلق الله وهم الملائكة، قيل: إنها إذا أمست عاصية لزوجها أمست والملائكة تلعنها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد أقسم لعنه الله قائلاً: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص].

فاحذري أيتها الأخت المؤمنة فإنك لا تقوين لغضب الله ونقمته وعذابه، فبعض النساء تكون كما ذكرت طيبة الأقوال حميدة الفعال إلا إلى زوجها أو ما يعنيه فذلك عليها أثقل من الحديد، فلا تريد إدخال السرور عليه بأن تتحمل كلامه وقت الغضب، وتقابل السيئة بالسيئة، وإذا أقبل إليه بعض أرحامه فليس لهم عندها قيمة ولا وزن، وإذا نشب بينها وبينه أي خلاف فلا تكاد تخفي من مثالبه شيئاً فهي دائماً تعاتبه على الكبير والصغير حتى إن بعض النساء تستمر في ذلك حتى تكون لحبل الصلة بينها وبين زوجها قاطعة.

فتلقى أولادها معقدين أذلاء، وأرحام زوجها من أخواته وعماته يتضجرن إذا أردن زيارته، فهذه مصيبة قد ابتليت بها من هذه حالها.

عليك أن تفكري أيتها المرأة المؤمنة في بيت والديك وفي نساء إخوانك إذا ذهبتي لزيارة أهلك وفيهن واحدة طيبة حسينة الخلق رحيبة القلب لينة الكلام معك ومع أولادك فتظهر الفرح والسرور إذا أقبلتي أو إحدى أخواتك كذلك فهي بمجيئكن مسرورة تبذل لكن ولأولادكن ما في وسعها وتحث زوجها على إكرامكن، ألا تحسين بالفرق بينها وبين غيرها من زوجات الإخوان اللاتي لا يفعلن شيئاً من ذلك؟

فعليك أن تجعلي هذه الطيبة مدرسةً تأخذين من أخلاقها

الفاضلة كي تتعرضين بتلك الأفعال إلى دعاء الأرحام الذي لا يرد، فهم يدعون الله لك ولزوجك وأولادك كلما ذُكِرت عندهن، فالبركة عليكم تغدو وتروح، قد ملأ الله بمعاملتكم وأخلاقكم الأسماع، فأنتم في خير في الدنيا والآخرة، وإن قل ما في أيديكم من الحطام.

وعليك أن تنظري بعين البصيرة إلى بعض النساء الزريات العاصيات كيف يتعاملن مع أزواجهن ومع أرحامه وجيرانه فلا أخلاق ولا إحسان ولا عاطفة على قريب ولا بعيد، والسبب في ذلك عدم التربية في بيت والديها وكما قيل: «إذا بغيت البنت فانشد من أمها البنت في طبع أمها وتزيد» حتى بناتها وأولادها أكثر وقتهم لأمهم أعداء بسبب عدم التربية الحسنة، الجزاء من جنس العمل.

فعليك أيتها المؤمنة بتربية أولادك فأخلاقك لهم مدرسة كاملة قولاً وفعلاً، علّميهم الصدق، وحذّريهم من الكذب والشتم، وحثّيهم على الدنو من والدهم وقت راحته، واذكري لهم إحسانه إليكم جميعاً ونعمته من أجلكم، فتكوني بهذه الأخلاق قد أرضيتي الله ورسوله وزوجك وأولادك، ثم حثيهم على الطهارات، وقبحي النجاسات عندهم، وأن لا يدخلوا دوراة المياه إلا بأحذية، وحذريهم من التبذير بالماء، وحاولي أن تعطفي قلوب بعضهم على البعض الآخر، وإذا بلغ الأولاد السنة السابعة

فأرسليهم مع والدهم إلى المسجد وطهري ثيابهم كي يتعلموا الصلاة والمواظبة عليها، وحثيهم على الإحسان إلى أولاد أرحام الزوج وترك الأذى للجيران وأولادهم، وكذلك البنات علميهن الأدب والطهارة والنظافة وحسن الخلق وقلة الكلام فالسكوت أسلم، وأن لا يذكرن شيئاً من عيوب الآخرين، والله سبحانه وتعالى سوف يعينك ويبارك في تربيتك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه على ما يشاء قدير.

وأما طالبات العلم الشريف من البنات التقيات العفيفات الطاهرات فعليهن أن يتأدبن بآداب المدرسة في ملازمة الحضور مهما بلغ الأمر إلا من عذر مانع، والاهتمام بالدروس من التدرّس والمراجعة، والتحفظ والاحترام الكبير للمدرِّسة وللزميلات، والاهتمام بنظافة المدرسة والنصيحة للزميلات أن لا يلعبن في المدرسة.

وإذا خلّصن الدروس في المدرسة فعليهن أن يتوجهن إلى البيوت مباشرة ولا يجلسن يتحدثن مع بعض الزميلات، وإذا كان هناك بعض الطالبات لها جوال فيه مقاطع أو مغاني فعلى جميع الطالبات مقاطعتها وإخبار المدرسة بذلك.

وعلى الطالبة التقية العاقلة أن تطلع أمها على الدروس التي

فيها آداب، وكذلك تتحفظ الحديثين الآتيين وتمليهما على والديها عندما تراهما مستريحين:

الحديث الأول: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))، ثم تذكر لهما إحسانهما بتعليمها وتعليم إخوانها.

والحديث الآخر: قال ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

عودة إلى الأم، اعلمي أيتها الأخت المؤمنة أن الرجال يتنافسون في خطبة البنت التي لها أبوان طيبان وسمعتهما طيبة، وقد رأينا ذلك بأعيننا وسمعناه بآذاننا فعندما يذكر لأحد الراغبين في الزواج بنت ولا سيما إذا كان من طلبة العلم فإنه يسأل عن والدها أولاً وعن أمها ثانياً فالبعض يكتفي بالذكر الحسن عن الأب والأم ويتذكر قول رسول الله ﷺ: ((تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس))، وقوله ﷺ: ((فاظفر بذات الدين تربت يداك)).

ويحس الخاطب إذا كتب الله وفاق أنه أسعد خاطب وأنه ظفر بخير الدنيا والآخرة، والواقع كذلك فالنساء درّ ومرّ، وحياة المرء مربوطة بالحياة الزوجية ارتباطاً وثيقاً فتراه سعيداً وإن قل ما في يده من الحطام، والآخر شقياً وغير سعيد ولو ملك القناطير المنقطرة.

فيجب على طالب العلم وطالبات العلم الإكثار من الدعاء في

تيسير الزوج المؤمن والزوجة المؤمنة فهو سبحانه القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

اللهم أصلح أولادنا وأهالينا، واحفظهم وارزقهم العلم النافع، واجمع شملهم في حياتنا وبعد مماتنا يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله. حرر في ٢٦/ صفر/ ١٤٣٩هـ.

التحذير من التفرقة وغيرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد:

بالنية الصالحة تعمر القلوب، وتغفر الذنوب، ويتحول صاحبها عند الأعداء إلى محبوب، كما أن صلاح ذات البين يعمر الديار، ويغنى به أصحابه بعد الافتقار، فلا دين مع الفرقة، ولا نما في الأرزاق، ودليل ذلك قول الرسول الكريم ﷺ: ((صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام، وإن الكبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله)).

وفي النية: ((نية المؤمن خير من عمله)) فعلى طلبة العلم الشريف، وكذلك جميع المؤمنين التحلي بحسن الخلق والصبر والسعي البليغ في إصلاح ذات البين، وعلى المرشدين والدعاة إلى الله أن يملأوا أسماع الغافلين تحذيراً من الفرقة، وترغيباً في فضل إصلاح ذات البين.

انظر أيها الطالب للعلم إلى بعض المشاكل في بعض القرى بين المجتمعات كيف يقطعون السلام والأرحام شهوراً وسنيناً فلا يزالون كذلك حتى يقيِّض الله مفتاحاً من مفاتيح الخير فيصلح شأنهم ويجمع الله به شملهم.

فما أربح تجارة المصلحين فقد حازوا الخير الكثير إذا كانوا أتقياء مؤمنين، فكم من قضية واحدة تلبث عشرات السنين وأهلها في عناء وشدة، نسأل الله السلامة من نشب الدنيا والآخرة إنه على ما يشاء قدير.

فلا تكاد ترى قرية فيها مشاكل وخصومات إلا وقد غلب على أهلها الهم والغم، وكذلك الفقر قد عم أغلبهم؛ لأن التفرقة والمشاكل قد أنستهم التقوى، فلا راحة في قلوبهم ولا أرزاق تتوفر لديهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

نعم، المصائب التي تحل بالناس سببها الجهل المصيطر على كثير من الناس، ومن أجل ذلك قال المصطفى ﷺ: ((عالم أفضل من ألف عابد، العالم يستنقذ عباد الله من الضلال إلى الهدى، والعابد يوشك أن يقدح الشك في قلبه فإذا هو في وادي الهلكات)).

فما بالك أيها المؤمن إذا كان معظم أهل القرى غير علماء ولا عبّاد، كيف يكون حالهم، وهذه الأمور من الهم والغم والفرقة وقطيعة الأرحام التي تحصل مع الفرقة وغير ذلك سببها الجهل.

وهناك تفرقة أخرى أشبه بالسم الناقع ألا وهي الفرقة التي

تقع بين طلبة العلم الشريف، فمتى وقعت هذه الفرقة وصاروا فريقين كل فريق يطعن على الفريق الآخر، وسواء كانوا في مسجد أو في مدرسة فاعلم أن المصيبة العظمى قد حلت بهم، وستنزلهم شر دار، فكل واحد من الفريقين يزكي فريقه والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم٣٢].

وقد كادت الفرقة والاختلاف في الآراء تعم جميع مدارس العلم إلا من عصم الله ومن خلالها يدخل الشيطان بين الطلبة يسهل عليهم موارد المعاصي من الغيبة والنميمة والاستخفاف والشماتة، فهذا الطالب يشمئز إذا رأى الطالب الآخر، وهذا يعتزل الصلاة خلف الآخر، ويفرح بالكلام في عرضه من الآخرين، فهل يبقى مع هذه الأمور روحانية أو دين؟! وهل يتبارك أو يزكو علم في قلب من هذا حاله؟!

يا أخي الطالب، أنت تطلب بالعلم رضا رب العالمين كي تنجو من عذاب الله الأليم وتفوز بجنات النعيم فحاسب نفسك لنفسك فغيرها من الأنفس لها حسيب غيرك، كما قال الوصي عليه السلام.

واعلم أيها الطالب للهداية والعلم أن التفرقة تقع في بداية الأمر بين طالِبَين أو بين شَيْخَين ثم تتفرع من الاثنين إلى أربعة حتى تقع بين جميع الطلبة أو أكثرهم ثم تخرج من بين طلبة تلك المدرسة إلى أصدقائهم وتصل إلى أعدائهم فعند ذلك يعظم كلمها ويصعب حلها ويحتار في تلافيها العلماء والحكماء.

من أجل ذلك حذر الله من الفرقة غاية الحذر قائلاً: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]، فلا تجعل أيها الطالب دينك وتعبك عرضة لعواصف الفرقة والخلاف بين المذهب الواحد والعقيدة الواحدة، وعلى من وقعت بينهم اختلاف الآراء أن يعرضوها على أصحاب العقول الراجحة فالمتفرج لبيب كما قيل، ومن استشار الرجال شاركها في عقولها، من استشار ما ندم.

وعلى كل طالب علم إذا أراد النجاة أن يتهم نفسه في كل أوقات حياته، قال الوصي عليه السلام: (المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه عنده ظنون) أي: متهمة، فمن عالج قضية خلاف في مدرسة علمية أو غيرها فقد فاز بالحظ الأوفر وصار من مفاتيح الخير، ومن فعل خلاف الإصلاح فهو من مفاتيح الشر.

وهذه القضية إذا وقعت بين طلبة العلم وعجز الطلبة أو الشيخ عن معالجتها فهي من أهم الأمور التي يجب فيها التحكيم فنردها إلى قادتنا وعلمائنا القائمين بالإرشاد ونمتثل ما دلونا عليه وأمرونا به، ونحذر المخالفة غاية الحذر، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، فقد نفى الله الإيمان عمن رفض التحكيم، واشترط مع التحكيم الرضا من القلب والتسليم كذلك، نعوذ بالله من مزالق الردى، ونسأله بعزته وقدرته أسباب الهدى.

ومما يلحق بالتفرقة من الأمور والمشكلات ما حكاه الله في كتابه العزيز: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج:١١]، فنعوذ برحمة الله من غضبه.

نعم، الإنسان ذو حالات مختلفات فتارة راحة وتارة هم وغم، وأحياناً حاجاته موجودة، وأحياناً معدومة، وطبيعة الإنسان تختلف باختلاف ما هو فيه غير أن الدين القويم الذي يطلب به صاحبه الجنة يصيطر على جميع الحالات المختلفات والأهواء المتشعبات، فلا يبقى للمؤمن أي خيار ينقاد به لهوى نفسه سوى التسليم لأمر الله والنزول عند قضائه.

فلنفكر فيما يقع بين الأسرة الواحدة من الامتحان والاختبار والعداوة والغيض الذي لا يكاد يبقى معه اتعاض ولا اعتبار، فلا يكاد يخلو بيت من الأسر الكبار إلا ويقع الخلاف بين بعض الأولاد ووالديهم وبين بعض الإخوة وإخوانهم الآخرين، يزرع الشيطان ذلك شيئاً فشيئاً حتى يتم له ما أراد.

نعم، في بداية أمرهم الكبير من الإخوة هو الذي يلقى العناء في مصادر عيشتهم من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك فقلبه على والديه وإخوانه كالدفاء على النائم في البرد الشديد والصغار لأخيهم الكبير يبرونه غاية البر فترى الوالدين يسترَّان بما يرياه في أولادهم ثم بعد ذلك يلحق الصغير بالكبير في العمر

ويتزوج كل واحد من الإخوة ويصلح شأنهم ويكثر خيرهم وكذلك برهم لوالديهم، وعند ذلك تمت عليهم النعمة، فالوالدان يسعدان ببر الصغير والكبير فلا تفارق السعادة قلب أحد الوالدين أو كليهما في شأن أحد أولادهم إلا وانتقلت في آخر.

فلما رأى الشيطان ذلك وما هم فيه من النعمة والسعادة والراحة غاضه ذلك وأقبل لعنه الله إليهم مهرولاً قد جمع كيده الضعيف فأقبل نحو الوالدين ناصحاً لهما ومتظلماً لولدهما الصغير أو أحدهم وزوجته فزرع -لعنه الله- في قلوبهما أن الصغير مسكين ضعيف مظلوم مهضوم وغير ذلك مما يزيد الطين بلة، فترى الوالدين بعد ذلك يهتفان بذكر الصغير تارة أنه أبر الإخوة وأخرى أنه مسكين مهضوم مظلوم وأن زوجته كادت أن تكون مريم بنت عمران أو فاطمة بنت الرسول ﷺ في برها وطهارتها وحسن أخلاقها فهما يبثان ذلك عند الصديق والعدو والقريب والبعيد، فترى الولد الأصغر يضحك من غير مرح ويطرب من غير فرح، فشوره هو الصواب وتعبه هو العذاب فيتسرب كل ذلك إلى قلبه قائلاً: من أبر مني لوالدي فأنا صاحب التوفيق والتسديد والقول الرشيد فلا يتكلم أحد من إخوانه عند والديه إلا قالا: الصواب غير ذلك والرأي السديد غير ذلك، فلا يبقى للكبير كلمة مسموعة فالحق والصواب ما نطق به قرة العين الصغير، والإخوان غير الصغير والكبير يضطربون في شأنهم ويتحيرون في أمرهم فينظرون لكلام

والديهم ويقولون: صدق الوالدان القول ما قال الصغير وهم يرون بعيونهم ويسمعون بآذانهم خلافه، وتارة يقولون: كم قد لقي أخونا الكبير من العناء والتعب من أجلنا، فإذا تكلموا أو أحدهم بهذا عند الوالدين قامت القيامة وتزلزلت أركان البيت من شدة الغضب فلا يطيقان سماع كلمة واحدة من هذا القبيل.

فعند ذلك أقبلت الفتنة وحطت رحلها وتمزقت الألفة واشتت شملها فالوالدان يظلمان الأولاد الكبار وأولادهم وأزواجهم من أجل الصغير المحبوب، والصغير يظلم الكبار بسبب ما أوتي من قوة ببركة الوالدين، والإخوة الكبار يعقون والديهم ويتحاملون عليهم بسبب ما يرون من الميل الجائر، وكل واحد من الإخوة يريد إقناع الأصدقاء والأرحام أنه هو المظلوم والمهضوم، فعند ذلك يصعب عند القريب والبعيد إصلاح شأنهم وجمع شملهم فنصيحة أحدهم من الصديق تورث العداوة، فتبقى هذه المشاكل بين الأسرة سنيناً عديدة.

فإذا أراد الإخوان القسمة لما في أيديهم أقبلت المشاكي عند الواسطة من كل فج عميق وتشعبت الآراء واختلفت الأهواء فالكبير يقول: هذا المحصول تعبي وكدي بيدي، والصغير يقول: أكلْتَنا وظلمْتَنا وأخذتَ حقنا وكم قد خدمنا وتعبنا بجانبك فلا ترى لنا جميلاً ولا جودة.

فلا الكبير يرحم الصغير، ولا الصغير يوقر الكبير، وبعد ذلك

يحصل الموت الأحمر، بل ما هو أشد من الموت من قطيعة الأرحام واقتراف الآثام، وما سبب ذلك إلا فقد الدين واليقين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وبه سبحانه وتعالى من ذلك وغيره عائذون.

علاج ما سبق ذكره

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين:

أما علاج هذه الأمور وغيرها من المعضلات فاعلم أيها المؤمن أنها من جملة الابتلاء والاختبار، وقد أخبرنا الله أن الابتلاء واقع لا محالة، وقد نوه الله بذكر الصابرين غاية التنويه في قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

فعلاج ما ذكر بين الأسرة مُرٌّ ابتداء، وأحلى من اللحم الحنيذ والعسل الشهد انتهاء؛ لأنه يحتاج إلى تضحية بتعبك ومالك وعرضك، فعليك أن تذكر تعبك وتبث همك إلى مولاك الذي يجازي بالكثير على الشيء اليسير وتقول: قد حكّمت من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ثم بعد ذلك تنظر وتمعن النظر في الحكم وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، فهو الحاكم بين خلقه يوم القيامة، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر].

فإذا عرفت ذلك في من هذا حاله من الصابرين أو المظلومين فأنت متفرج والمتفرج لبيب كما قيل، ثم احكم بعقلك من هو الرابح ومن هو الخاسر، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى]، وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

فالصبر واليقين أفضل الخصال التي يتحلى بها المؤمن التقي، وهي خير ما أودع في القلب، ألا ترى إلى جزاء الصابرين كيف أجزل الله فيه العطاء وما ذلك إلا لشدة التكليف الذي يحتاج إلى جهد وصبر عظيم، فمن صبر فاز وظفر في الدنيا والآخرة.

ورد أنه ينادي مناد يوم القيامة: «من له على الله أجر فليقم» فيقوم الصابرون ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

وفي الدنيا الرحمة والثناء الحسن من المؤمنين، وكما قال الوصي عليه السلام: (الصبر أهون من الجزع)، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

التحذير من التساهل في حقوق المخلوقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

في الحديث عن رسول الله ﷺ: ((من دق في الدين نظره جل يوم القيامة خطره)) بمعنى: من أمعن النظر في أمور دينه وتقصى فيما بينه وبين الله وما بينه وبين الناس فإنه يوم القيامة يكون ذا شأن عظيم ويظهر قدره بين عباد الله الصالحين، وكفى بذلك مرغباً في تقصي ما يجب لله من فروضه واجتناب نواهيه، وإن كنا لم نخلق إلا من أجل ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، فالسعيد من أمسى وهمه الشكر وأصبح وهمه الذكر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

واعلم يا أخي المؤمن أن المصطفى ﷺ تركنا على المحجة البيضاء وأن الأعذار والاعتذار يوم العرض علائقها واهية، واعلم أن حقوق الخلائق يوم القيامة تخضع لها الرقاب وتحير في ذلك فطن أولي الألباب وما عسى أن يترك من الحقوق في ذلك اليوم والعليم الخبير يقول: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر].

نعم، قد تقدم في شأن صلاح ذات البين وأنه أفضل من عامة الصلاة والصيام إلى آخر الحديث غير أن هذا الموضوع وضعته في شأن الحقوق التي يتغاضى عنها الكثير والجم الغفير، فبعض الناس

يسهر الليالي ويتأذى الأيام والشهور وأحياناً السنين من أذية البعض، ومن أسهره نومه وآذاه في تلك الأيام لا يلقي لذلك بالاً ولو علم أنه مخطئ ويستمر كذلك، وإذا وقع الصلح بينهما فينسى أو يتناسا أنه أخطأ على صاحبه فلا يطلب براءة ولا سمحاناً حتى ولو طلب المظلوم التسامح فالآخر لا يظهر ذلك بل يحاول أن يتكتم كي لا يظهر أنه مخطئ ويظن أنه بذلك قد زكى نفسه وأن ذمته بريئة ويخبر الناس أن الآخر طلب منه السمحان وما ذلك إلا لخطئه عليه وتمر الأيام حتى تصير القضية في عداد المنسيات غير أنها مزبورة في صحيفة سيئاته وما كان ربك نسياً.

وآخر له خصال حميدة مع من يعامله وذلك وقت الرضا وله أيضاً صنائع خير من صدقات وأفعال خير، فإذا وقع بينه وبين أحد شركائه أو زملائه أو أصحابه خلاف فإنه يغمط الحق ولا يبالي ولا يسمع لنصيحة ناصح كبر الناصح في عينه أم صغر وذلك منه ركون على أفعال الخير والإحسان إلى الآخرين وتراه يشنِّع على الذي غمطه حقه أنه هين وبخيل قائلاً كم قد فعلنا من الخير وأعطينا من المال ولم نفعل مثل فعله فيحول نفسه من مخطئ إلى مصيب ومن مبطل إلى محق وصدق الله العظيم القائل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، فهذه القضايا وأمثالها يجب التنبه لها والحذر منها وإرغام النفس

لطلب المسامحة من أهلها، ومن أراد أن يعرف شناعة فعله فيضع نفسه محل من يتعتب عليه ويشكو منه وسيظهر له خطأه من صوابه وقد أوصى أمير المؤمنين ولده عليه السلام بذلك قائلاً: (اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين الناس).

والمؤمن الذي له عناية من ربه لا يدخله رضاه في باطل ولا يخرجه غضبه من الحق، وأي جرعة أحلى وألذ عند المظلوم من الإنصاف، فمن لم ينصف من نفسه اليوم فإنه يدفع ثمن ذلك غداً وثمن التمادي في الغي، ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

ومن ذلك ما يقع بين طلبة العلم وأصحاب المساجد -أعني: المواظبين على الصلوات في ذلك المسجد- مثلاً فإنك ترى البعض قلبه مجروح من أذية بعض زملائه أو من بعض من يحضر في ذلك المسجد فهذا يسهر وهذا ينام وهو يشعر بتأذي المظلوم فلا يزال مشمراً في غيه ويطلب لنفسه المعاذير ولو ذكر عنده أنه يقع من بعض الناس على بعض الناس مثل فعله لشنع عليه غاية التشنيع فإنا لله وإنا إليه راجعون وبه عائذون.

ومن ذلك ما يقع من القهر من الأعلى إلى الأدنى ويبرر ذلك أنه قد تعب في تحصيل العلم وفي هداية الناس وأنه يحق له أن يقهر غيره بأنواع الكلام ولو بين الناس وإذا أظهر ذلك الغير التضجر فإن

ذلك علامة خذلانه وسلب توفيقه وأن من يتحمل القهر والاستخفاف والإهانة هو من امتحن الله قلبه بالتقوى والواقع كذلك غير أنه لا مبرر لاضطهاد وقهر وإهانة الآخرين فرسول الله ﷺ هو في ذلك الأسوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

وليعلم كل من يتجبر على الناس ولا يبالي بأذيتهم أن عاقبة ذلك الخذلان ضعة في الدنيا في أعين المؤمنين ونقص حظ في الأرزاق وسلب الوجاهة وتعريض المعرض لسهام الناقدين.

أسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ومن ذلك ما يقع من بعض الأسرة على بعض من قهر الزوجة والأخت والولد والبنت فترى بعض النساء مقهورة من كلام زوجها دائماً وتلك البنت من قهر أخيها، وكذلك بعض الإخوان يكون خائفاً من أخيه ومن سطواته تارة بالسب وأخرى بالاستخفاف بين الناس، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فعلى طالب النجاة التنبه لذلك وأن يتهم نفسه كذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴿٣٢﴾﴾ [النجم]، ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

ولشناعة هذه الأشياء يقول رسول الله ﷺ: ((والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه)) أو كما قال، و((المؤمن نفسه منه في عناء والناس منه في راحة))، ولا يأمن الإنسان أن تصيبه دعوة

عاجلة في نفسه أو في رزقه أو في ولده فدعوة المظلوم لا ترد فعين الله راعية للظالم والمظلوم والدعاء سلاح المؤمنين، يقول سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

فلنحذر من القهر والظلم وغمط الحق فجميع ذلك عواقبه وخيمة، وعلينا بالتوبة النصوح فيما وقع منا في ماضينا وقد نسيناه أما ما علمنا فالتخلص بالبراء والسمحان.

اللهم خلص ذممنا من كل حق يلزمنا بين يديك، واستر فضائحنا يوم القيامة ولا تمتنا إلا وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين، واغفر لمن قد آذيناهم أو غمطنا حقوقهم يا كريم إنك على ما تشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

تحذير من عداوة أهل البيت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب من أبواب التكليف عظيم، والخطب في هذا الشأن عظيم وجسيم، هو ما دلنا الله عليه من رحمته البالغة وعنايته الجليلة السابغة تلك نعمة الله بأهل البيت النبوي سفينة النجاة من بحار الهلكات قرناء القرآن، وحجج الله في كل زمان ومكان، فلا راحة ولا اطمئنان إلا بولايتهم، ولا دين قويم إلا بحبهم والاعتراف بحقهم.

وقد بليت هذه الأمة أشد بلاء ورميت بالداهية العظمى بعداوتهم وهم يقرأون ويرددون، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، وفي تشهد كل صلاة لأحدهم يقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» فهل بقي عذر بعد هذا للمكلفين؟ أو حجة يوم القيامة بين يدي رب العالمين؟

يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن الله عز وجل جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي، وإني سائلكم غدًا فمحف لكم في المسألة)).

أيها المكلف، ارحم نفسك وفكر في صفقتك هل تريد أن تلقى رسول الله ﷺ بحب أولاده وأولاد الوصي والزهراء أم بعداوتهم؟ أين ترى حب رسول الله لك مع العداوة أم مع الولاء؟

وقد تكلم وصي رسول الله الأنزع البطين باب مدينة علم رسول الله وعيبة علمه بكلمتين في هذا الشأن حقيقتين أن تكتبا

بماء الذهب، بل بالذهب وهو قليل في حقهما، الأولى: (لا يقاس بآل محمد من جرت نعمتهم عليه)، والأخرى: (نحن صنائع ربنا والناس صنائع لنا)، فصلوات الله عليك يا نبينا وسلام الله عليك يا وصيه وعلى آلكما ورحمة الله وبركاته.

اللهم اجعلنا في حق آل محمد مستبصرين، ولما أوجبت علينا في شأنهم ممتثلين، إنك سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

تنبيه:

قد سبق أنه يقع من الابتلاء الشيء الكثير بين خلقه فبعضهم غني وآخر فقير، ومنهم الذكي ومنهم البليد، وفيهم صاحب الجاه وعكسه، وغير ذلك، إلا أني أريد أن أنبه سادتي وإن كان الخجل -والله- حاصلاً مع هذه الكلمات فأقول وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل:

اعلم أيها الطالب من أولاد رسول الله أن الله جلت قدرته قد رفعكم بمقام جدكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبيكم الوصي وأمكم الزهراء الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، وفيكم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما تقر به عيونكم وتطمئن له قلوبكم، غير أن شأن أهل البيت في التكليف شأن غيرهم منذ خلق الله آدم وإلى يوم القيامة.

ومن التكليف والاختبار ما حكاه الله بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا

بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، فاحذر أيها الطالب التقي من آل محمد الأطهار أن تغتر بمكائد الشيطان وزخارفه فتسول لك نفسك وتقول: ما الفرق بيني وبين من إليه الناس يقبلون ولأبوابه يطرقون يسعدون بمقامه ويطربون لكلامه، وأنا وإياه من ذرية النبي والوصي والزهراء أنزل فينا آيات في التنزيل ومدحنا وأثنى علينا جدنا جميعاً، فهل هذا إلا الحيف بعينه، والميل والعداوة لبعض آل محمد والكيد؟!

فتكون بهذا قد جعلت للشيطان عليك مدخلاً، فإن كان هذا من باب الحقد والعداوة عليك وعلى أمثالك من آل محمد فهذا لا شك فيه، وإن كان من باب القبول وعدمه فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

تحذير بليغ من أذية الغير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل وسلم على محمد وآله.

اعلم أن من أعظم المصائب وما يدعو إلى النكبات المعضلات أذية الغير ظلماً وعدواناً وتمرداً على الله وعصياناً، وهذه القضية لا يتنبه لها ويهرب منها إلا ذو حظ عظيم، فالكثير يحصل منه ذلك ولا يلقي له بالاً فترى بعض الناس يعتقد حسن ذلك لا سيما فيما يقع بين طلبة العلم، فبعض الطلبة يسهر ليله مما يلحقه من الغير وإذا شكا ذلك إلى أحد لم يلتفت إليه لأن الذي يؤذيه قد ملأ أسماع الآخرين بالتنقيص له والتشكي منه، وكذلك ما يحصل بين المجتمع من غير طلبة العلم فبعضهم يستعمل سمعته لذلك والبعض الآخر ماله أو جاهه.

نعم، والذي يدعو إلى ذلك عدة أسباب منها: قلة الدين وعدم المراقبة لرب العالمين، ومَنْ هذا حاله يصعب معالجته بالمواعظ والنصائح. والسبب الثاني: العجب بالنفس وأنها تستحق من التقدير والتعظيم أكثر مما يستحقه الغير، فترى صاحب هذا السبب يحقر من وجه إليه نصيحة ويقول في نفسه: أنت أحق مني بالنصيحة أيها الناصح المسكين فلا يقبل نصحاً من قريب ولا من بعيد، يظلم مَنْ دونه ترفعاً وتطاولاً، ويعصي من فوقه تمرداً وطغياناً، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة:٢٠٦].

السبب الثالث: الحسد وما أدراك ما الحسد، وهل يخلو منه صدر مكلف إلا من عصم الله وهم الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً، فالحاسد لا يرضيه من الآخر إلا زوال نعمته، فترى صاحب هذه الخليقة يتناول السم من حيث لا يدري، يبرر ذلك بالتأويلات الكاذبة فتارة يقول: ما فعلت ذلك حسداً ولكن حرصاً مني على صلاحه ولئلا يغتر، وأخرى أنا أعرف به من الناس، وأحياناً يقول: دينه ضعيف وأنا أعرف بمصلحته من نفسه، فهو يطعن عليه ليلاً ونهاراً ويدعو إلى تنقيصه سراً وجهاراً، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف]، نسي أو تناسى أن الرفعة والضعة بيد أقدر القادرين وأحكم الحاكمين وهل نقص فضل أمير المؤمنين وسيد الوصيين من تنقيص الفجرة أعداء الدين وقد كانوا يلعنونه من على منابر المسلمين فالرفعة من الله لمن لم يركض وراءها ولم يعمل يوماً ما من أجلها، ألا تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ذكر الله المؤمنين والعلماءُ داخلون دخولاً أولياً ثم ذكر العلماء تشريفاً لهم وللعلم، غير أن الإيمان لا يتم إلا لمن عرف قدر نفسه وشكر ربه على نعمه وعلى ستر فضائحه فتراه لا يكبر لنفسه قدراً في جميع أحواله بل يذمها بصدق من صميم فؤاده وقد عقل عن الله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم]، وكلما تقرب إلى الله

بقربة أو عمل خالص أو نية صالحة زاده ذلك بصيرة بعيوب نفسه واستعظاماً لسيئ أفعاله، والعالم حقيقة هو الذي يحاسب نفسه لنفسه ليس من وصفه أمير المؤمنين بقوله: (رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه).

نعوذ بالله من الغفلة عن مساوئ أنفسنا فالغافل عن سيئاته هو من عناهم الله بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

نعم، الجزاء من جنس العمل من طلب العزة بالمعاصي عاد حامده منهم ذاماً وقد رأينا -والله- ذلك وشاهدناه، فعليك يا أخي بتقوى الله واترك ضر الناس من جميع وجوهه وراجع نفسك وحسابك فيما مضى مراجعة المغلوط عليه في ماله الكثير وسترى بتلك النظرة خبيثات الفعال، ويتضح لك منها ما غفلت عنه من الأفعال والأقوال، ومن أجل الغفلة عن ذلك بدأ الله بالصغيرة قبل الكبيرة.

وإليك مقالة أعداء الله الغافلين يوم القيامة: ﴿يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، فكفى بهذه الآية عن المعاصي زاجراً ولو فكرنا فيها وأمعنا النظر جيداً لحزنت لذلك قلوبنا وبكت عيوننا وتبنا إلى خالقنا ليلاً ونهاراً وندمنا أشد الندم على أقوالنا الباطلة ونياتنا الخبيثة ولكن اشتغلنا

بعيوب الناس وظلمهم ونسينا أنفسنا فصرنا كمن يتناول السم والناصح على رأسه قائم، يقول: تريد أن تنهاني عن أكل العسل الشهد فلا أصدقك، ومن أجل عدم التلقي للنصيحة بالقبول يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة].

نعم، هذا الصنف إذا رأى تجمع الناس واتجاه الناس عند غيره أشد عليه من حز الشفار وضرب السياط فتراه قد حشى مسلوبين التوفيق من أتباعه أنه وهم صفوة الله من بريته وخيرته من خلقه وأن غيرهم إما جهال وإما فجرة.

فطوبى لمن عرف قدر نفسه كما قال النبي ﷺ، وهنيئاً لمن ضرب نفسه بسوط الندم وأحرقها بنار الخوف من تبعات المأثم، وأيقن أن عين الله ترعاه في سره والعلن، ونسأل الله غفران الذنوب وستر العيوب وأن يغفر لمن قد لحقنا بسببهم تبعات إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

في حق الوالدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من الحقوق التي أوجبها الله علينا حقوق والدينا وكذلك حقوق أرحامنا، فالوالدان لهما المنة العظيمة على تربيتنا والاعتناء بنا في صغرنا وكبرنا وقد علم كل مسلم ذلك جملة أو تفصيلاً، غير أن الكثير لا يولي والديه اهتماماً ولا يلقي لحث الله على ذلك بالاً فتراه يعامل والديه معاملة بقية الأسرة ولا يتحمل لهما أذى ولا يسكت على كلمة تضجر منهما يسالمهما ما سالماه ويعاديهما إذا عاداياه، وهذا محظ العقوق والمخالفة لقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، عظم الله في هذه الآية حق الوالدين تعظيماً بليغاً قل من يستطيع أن يفي به.

وعند الكثير أنه يستحق من التقدير أكثر مما يستحقه الوالدان لأسباب غرسها الشيطان في عقله وزين له ذلك في نفسه فتراه يتضجر من كلامهما إذا عاتباه على أي تقصير ويرى لنفسه المنة لأنه يسعى عليهما وعلى بقية الأسرة، فإذا عاتباه أو أحدهما على تقصير منه لم يطق الصبر على ذلك ويقول قطعت وجهي على كل العائلة شقاء وتعباً، نسي أن تلك نعمة من الله عليه وأن ذلك من إحسانه إليه أن يجري الله أرزاق أسرته على يديه، فالله هو القادر

أن يحرمه ويجري ذلك على يد غيره ولا يبعد أن يفعل الله كذلك؛ لأنه بهذه المعاملة غير شاكر لنعمة الله ولا مؤد ما أوجب الله عليه، فمن أراد خير الدنيا والآخرة فليطع والديه في طاعة الله وليكرم أبويه بإحسانه إليهما والتعطف عليهما وليحسن إلى بقية أولادهما ويظهر لهما التقصير منه في حقهما والأمر كذلك فحقهما كبير، وليعلم أن الجنة حفت بالمكاره وأن النار حفت بالشهوات، والإحسان هو سبب وثيق في جلب كل خير لا سيما إذا أحسن الإنسان إلى والديه وأقاربه، ومن الأسباب القوية لإرضاء الوالدين الإحسان إلى أولادهما وبناتهما فهما بذلك الصنيع يرضيان غاية الرضا ويجدان من نفوسهما أن الفاعل لذلك أبر أولادهما والله هو الذي يضع المحبة في القلوب لأنه يعلم السر وأخفى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

نعم، بار والديه يجازيه الله في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يضع الله له الثناء على ألسنة مجتمعه ويعطيه الله الخير الكثير والصلاح في أولاده، وفي الآخرة رضوان الله وإدخاله جنته، وقد أثنى رسول الله ﷺ على من أحسن إلى أهله فما بالك بوالديك يقول المصطفى ﷺ: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

وليعلم الإنسان أن الأجر من الله على قدر المشقة ألا ترى إلى

ما كلف الله به أنبياءه من الدعوة إليه والتبليغ لشريعته وأنهم يلقون من العناء ما لا يطيقه غيرهم كذلك بار والديه لا بد له من الصبر على بر والديه فالله سبحانه أعلم بمصالح عباده، وليحذر المقصر عقوبة الله وسلب النعم عليه، والنعم يجب فيها الشكر وشكر الواجب الامتثال.

نعم، لا بد من التضحية والتعب لمن أراد الخير الكثير والأجر الكبير في حق والديه وأسرته لا سيما إذا كانوا إخواناً عدة فإنك لا تكاد ترى في كل أسرة كبيرة إلا واحداً يثني عليه الكبير والصغير والقريب والبعيد فقد كبره الله لأجل صبره وإن كان الصغير كساه نوراً في وجهه وبسطة في جاهه وذكراً على ألسنة مجتمعه، ولكن بعد عناء وشدة حتى ملكه الله زمام نفسه يتسلى بما وعد الله عباده الصابرين يذكر عواقب الأمور فتهون عليه مصائب الدنيا وهمومها، ومن أعظم البلاء في حق الوالدين والأسرة أن تكون أيها الإنسان باراً بهما وهما لا يكبِّران لك قدراً قد أَوليا الثناء غيرك من أولادهما فتنة له واختباراً لك وابتلاء حتى إن بعض الناس يؤثر والديه على نفسه وعياله وزوجته وهما يبران بذلك أحد أولادهما أو بناتهما المقصرين بمرأى ومسمع ممن يبرهما من الأولاد، هذا غاية التمحيص والابتلاء غير أن الإنسان يعامل من لا تخفى عليه السرائر المالك لزمام الأمور من بيده خزائن السماوات والأرض، فعلى البار المحسن أن يواجه المتاعب بعلمه

واعتقاده أن الله بكل شيء عليم وأنه يعامل بذلك من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

فمن عامل نفسه بهذه الطريقة فإنه -والذي رفع السماء وبسط الأرض- يرى في القادم من أيامه ما تقر به عينه وترتاح له نفسه من رغد العيش وبر الولد وانقياد الأمور بأزمتها وقد شكا عليَّ بعض الإخوان أنه يعاني من قساوة والده أكثر مما يعامل به أولاده الباقين وأنه يخدمه في المزرعة المشتركة وإخوانه يجمعون لهم كل على حده وأنا أعرف والدهم أنه من أهل الدين والتقوى وأن هذه القضية من جملة البلوى على هذا الولد والتمست أن الولد صاحب عقل راجح ولم أكن أعرفه إلا في تلك الجلسة فعزمت على وعظه وتذكيره وأن طريقته هي الناجحة وأين بلغ بيوسف النبي صبرُه وما كان عاقبة أمره وأَقْنَعْتُه أن خدمة والده في المزرعة وبره أنجح له في جلب المال وكسبه وأن طاعته لوالده وإدخال السرور بذلك على والدته خير من الدنيا وما فيها وأنه إن أطاعني سوف يرى ما يشفي غليل قلبه وعند ذلك أخذ بنصيحتي واستمر في بر والده المؤمن تاركاً للدنيا مقبلاً على الآخرة مشمراً بكل جد وعزيمة، فوالله الذي لا إله إلا هو ما هي إلا أيام وشهور حتى تحولت الأمور إلى صالحه ومن جملة ما طمأن الله فؤاده به حسب ما أخبرني بذلك أنه في يوم من الأيام كان نائماً أو ليلة من الليالي فرأى في منامه أن أمير المؤمنين يناديه من أجل

الصلاة فصحي من منامه فإذا بالمنادي والده فعند ذلك علم أن لوالده شأناً فزاد في بره وما هي إلا أيام حتى فتح الله له بابين بابًا لرزقه وبابًا لحسن الثناء على لسان والده فتعدى بذلك عقبة البلوى وزاده ذلك ثباتاً في دينه وبصيرة في يقينه وصدق الله العلي العظيم القائل وهو أصدق القائلين: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧﴾ [الليل]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق]، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، أسأل الله أن ينفع بهذه النصيحة إخواني المؤمنين والمؤمنات آمين.

بحث حول الخوف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اعلم أن الخوف يتفاوت وله حدود يتردد بينها: أعلاه ما دون القنوط، وأدناه ما لولاه لما أدى المكلف معه الأركان.

ومن أحمد الخوف وأشرفه ما مدح الله به أولياءه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون]، فصلاتهم مشوبة بالخوف قبل الدخول فيها وفي حالها وبعد انقضائها، أما قبلها فيبادرون بها هروباً وخوفاً من اسم النفاق، وفي أدائها لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون].

فتراهم يهتمون بالقراءة فيها وإتمام الركوع والسجود والسكون، وأما بعدها فخوفاً من عدم القبول ومن المحبطات وكذلك بقية الواجبات يزكون وهم خائفون، ويصومون ويحجون وهم كذلك، يبرون والديهم وهم يعترفون بالتقصير.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (براهم الخوف بري القداح)، وقال عليه السلام: (قلوبهم قرحة وإن ضحكوا) وقال: (يحسبهم القوم مرضى وما بالقوم من مرض، ولقد خالطهم أمر عظيم).

نعم، الخوف مطلوب شرعاً قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، ألا ترى أيها الطالب للنجاة إلى مكانة الخوف أين بلغت بصاحبها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ

﴿رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٤١﴾ [النازعات]، فأخبر الله أن الخوف ومجاهدة النفس يوصلان إلى جنات النعيم، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

فإن قيل: كيف الطريق إلى أسباب الخوف، وما هي؟

قلت: هي ما دلنا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهمها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أكثر من ذكر الموت سلا عن الشهوات، ومن سلا عن الشهوات هانت عليه المصيبات، ومن هانت عليه المصيبات سارع إلى الخيرات))، تأمل ما في هذا الحديث من البلاغة والفوائد على صاحبه وآله أفضل الصلاة والتسليم.

قوله: «من أكثر من ذكر الموت سلا عن الشهوات» فالإكثار من الشيء معروف عند أصحاب العقول غير أنه محدد في هذا الحديث الشريف كما يحدد الطبيب الماهر جرعة العلاج وأبلغ من ذلك، فالطبيب يخبر بعافية المريض مع استعمال العلاج عن ظن، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر عن علم.

نعم، فإذا سلا الإنسان عن الشهوات فقد أكثر من ذكر الموت فالشهوات هي السموم القاتلة فمن قتلها بذكر الموت استطاع أن يسارع إلى الخيرات، قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الدنيا أسحر من هاروت وماروت))، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (الدنيا كالحية مسها لين، وسمها قاتل).

فذكر الموت من أقوى أسباب الخوف، والإكثار من ذكر الموت

يكرّه بالحياة الدنيا، ويكرِّه بها في يديك، والإكثار من ذكر الموت يجعل العظيم الجسيم حقيراً، ويصير الصغير الحقير في أعين الناس عظيماً، فالعظيم الجسيم هنا كل ما يفرح ويسعد به أهل الدنيا، والصغير الحقير هنا كل ما أريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة، فلا تنظر إلى شيء في الدنيا سواء كان في يدك أم في يد غيرك فيعجبك إلا وانقضّ عليه الموت كالسبع المفترس، إذا كنت آخذاً بنصيحة رسول الله ﷺ فسمَّجه في عينك وصَغِّر قدره في قلبك، وهذا العلاج النبوي يحتاج إلى جهد جهيد ومتابعة حتى تكون ممن غُرس ذكر الموت في قلبه فنبت وفرع وأزهر وأثمر.

فوالله ما أرى أسعد من صاحب هذا الخليقة أحداً إلا من كان على منواله، ألا ترى إلى قول الوصي في من هذا حالهم: (قد أنسوا بما استوحش منه المترفون).

وكيف لا يكون الموت شعاراً ودثاراً للمؤمن وقد هدد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ، افرض أيها المؤمن، أنك قد وصلت إلى أرض المحشر، وأنت كذلك واصل لا محالة، فلا ترى أينما نظرت إلا بشراً ينتظرون، لماذا ينتظرون؟ ينتظرون للحساب ودقته، قال أمير المؤمنين في دقة الحساب: (ليس قطعاً بالمدى - أي: بالسكاكين- ولا ضرباً بالسياط ولكن الأمر ما يهون معه ذلك)، وقال في كلام آخر: (فشهدت عليه يومئذٍ عينه بنظره ويده ببطشه، ورجله بخطوه) أو كما قال.

فلا ماء في ذلك اليوم الشديد يروي العطشان، ولا شافعاً ولا ناصراً ينقذ الخسران، فلا يبقى غير الحسرات غير المتناهية، يوم يجعل الولدان شيباً، فلا مسكن يأوي إليه الخسران، ولا زوجة ولا صاحب ولا قريب ولا ولد، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴿٣٧﴾﴾ [عبس]، وأنت ترى وتنظر بعينيك إلى وجوه الخاسرين، وهم يتجرعون كأسات الحسرات، قد جلبوا على أنفسهم كل المصائب والويلات.

فما أمَّنك يا مسكين، أن تكون من الهالكين، الذين هم من رحمة الله في ذلك اليوم من الآيسين، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين، وكم لهذا المشهد من مثيل، قال الوصي عليه السلام: (كيف إن أنا عملت سيئة ربي محصيها وأنا ناسيها، فيقول: خذوه فغلوه)، وهل أمن أحد الأنبياء يوماً ما وهم أنبياء الله وخاصته، ألا تسمع ما قاله سيد المرسلين وأعظم النبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، وذلك عندما رجع من الطائف وقد أدمى أعداء الله رجليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي)).

فعلينا جميعاً أن نطيل الفكرة في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا لا نكون من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون، ونرجع إلى أنفسنا مخاطبين لها فنقول:

قد عصينا الله كثيراً قولاً وفعلاً ونية فكم ناس اغتبناهم وحقرناهم وأدخلنا عليهم الهم والغم وتحيلنا من أجل هضمهم

وتصغيرهم، ونغتر أن لنا نوايا حسنة في معاملة ذلك الشخص، وكما قال الله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف]، ومهما بلغنا في مرضاة الله، فالمنة علينا من الله كثيرة لا ترخص لنفسك في تسهيل الذنوب فإن الرقيب عليك علام الغيوب، ألا ترى كيف ذكر الله الصغيرة قبل الكبيرة في حساب الخاسرين: ﴿يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف]، فمن وجد من نفسه لنفسه زاجراً فليحمد الله على ذلك وليشكره كذلك.

وفي الحديث: ((إذا أحب الله عبداً جعل له واعظًا من نفسه وزاجرًا من قلبه يأمره وينهاه)) وعلى كل حال إن الجزاء من الله على الخوف أول ما يلقاه المؤمن عند الموت، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت]، ونوه الله بذكرهم مراراً وتكراراً، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس]، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧].

وقال النبي ﷺ في تمام حديث: ((فما يرون أماناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون))، وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور]، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نبذة من نعيم أهل الجنة

نعم، من الأمور التي ينبغي أن يطيل الإنسان فكره فيها أمور الآخرة، من ذلك نعيم أهل الجنة الأبدي وما أعد الله فيها لأوليائه، وكذلك نعم الله على المؤمن قبل الوصول إلى جنات النعيم، وسنذكر من ذلك قليلًا من كثير، من ذلك ما يلقاه المؤمن عند الموت من تبشير الملائكة له بالنجاة كما حكى الله لنا ذلك في كتابه العزيز: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت٣٠]، فالإنسان في هذه المواطن بين شدائد الموت وتجرع سكراته وقد أيقن بالفراق لأهله وأولاده ولا يدري ما الله صانع به، وإذا بالملائكة عليهم السلام يبشرونه بالنجاة ويطمئنونه بالسلامة من عذاب الله الشديد، فعند ذلك تهون على المؤمن كل الآلام، ولا يبعد أن تكون تلك اللحظة بعد البشارة أحلى لحظة مرت عليه في حياته كلها.

ومن ذلك ستر الله عليه يوم العرض، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق].

فلو أن الإنسان شغل عقله بالتفكير في هذين الموقفين والأمرين العظيمين، وفرغ جلّت أوقاته لدعاء خالقه أن يجعله ممن شملتهم هاتان الآيتان- لكان حقيقا بذلك، ثم بعد ذلك ما يلقاه المؤمن من الفرح والبشارات عندما يشاهد الجنة وقد أيقن

أنه من أهلها كما حكى الله ذلك في كتابه الكريم حين يقول عز من قائل: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝٣٣ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق].

انظر أيها المؤمن بعين قلبك في هذه الآية وردد فيها فكرك كيف يكون فرح المتقين وقد شاهدوا أشياء غير معهودة، من قصور مبنية بالذهب وأخرى بالفضة، وخيام منصوبة لم ير لها في الدنيا نظير، وأنوار تتلألأ، وخدم كالدر المنثور، وحور كاللؤلؤ المكنون كأنهن الياقوت والمرجان، وأنهار من جميع الأشربة...، وأثمار متدلية، وأرياح طيبة، والفرح والسرور والنور في وجوههم يتزايد كلما دنوا من ذلك المشهد الذي لم يعهدوا له في الدنيا مثيلًا، وعند وصولهم إلى أبواب الجنان يستقبلونهم ملائكة الرحمن قائلين: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤﴾ ﴿..وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝٧٣ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٧٤﴾ [الزمر]، فلما وصلوا إلى ملك الله الدائم ورأوا وشاهدوا ما هنالك تغيرت لتلك المشاهد أبشارهم وصورهم التي كانت في الدنيا شاحبة، تعرف في وجوههم نظرة النعيم قد فرشت قصورهم بفُرُش ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ أي:

من الحرير الناعم، وأثثت بأثاث لم يطرق سمعًا وصفه، وتماما كما قال رسول الله ﷺ: ((فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))، فلا يشاهدون منظرًا إلا قالوا: سبحانك اللهم، متعجبين مما شاهدوا ورأوا مما يدهش الألباب قصورًا من ذهب مبنية ونقشها من الفضة، وقصورًا من فضة ونقشها من الذهب، الأشجار مغروسة على حافة الأنهار بين كثبان المسك تضيء لهم أنوار قصور المتحابين في الله كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ [يس].

فلا يسترّ أحدٌ بنعمة من أولياء الله في الجنة إلا تذكر دوامها أبدًا، والتنعم والتلذذ والسرور بها سرمدًا، جمال في وجه كل واحد منهم يسر الناظرين، في غاية الشباب وفي منتهاه، وكل منظر في الجنة يملأ القلب راحة وسرورًا، فلا يوجد منظر واحد ينغص لذة أحد من المتقين لحظة واحدة على مدى ملايين بل مليارات السنين كما قال أحكم الحاكمين وأقدر القادرين: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء١٠٢]، تحولت أطعمتهم وأشربتهم إلى روائح أطيب من المسك، فلا بول ولا غائط ولا مخاط ولا حيض من النساء ولا شيء من المؤذيات، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٦﴾ [الواقعة]، فلا كلمة واحدة تمجها الأسماع أو تنفر منها الطباع، بل يتلذذون بالكلام كما يتلذذ الصائم عند فطره

بالشراب والطعام؛ لأنه من جملة المشتهيات ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾.

أما الحياة الزوجية فليس الخبر كالعيان في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس] قيل: في فض الأبكار على حافات الأنهار، فكل له ملك على حسب سعيه وعمله في هذه الدنيا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، المتقون يعظمون بعضهم البعض، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

فيحق -والله- لكل مؤمن تقي أن يغوص بفكره بين عميق أوصاف الجنات من آيات الله البينات وأحاديث رسوله ﷺ المبشرات، انظر بالله عليك وصوب نظر قلبك وأصغ بسمعك إلى قول من يريد لنا السعادة والخير الكثير، خالقنا ومولانا اللطيف الخبير حين يصف مشهدًا من مشاهد المتقين وقد فازوا برضوان الله ووصلوا إلى جنات النعيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالهداية في هذه الآية معناها: يثيبهم؛ لأنهم قد وصلوا إلى الجنة، والتكليف ليس إلا في الدنيا، وقوله تعالى: ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ دليل على فضل المعرفة بالله وحسن العقيدة

الصحيحة من معرفة الحق وأهله، وترك الباطل وحزبه، قال المصطفى ﷺ: ((التوحيد ثمن الجنة)).

ثم قال: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ صوَّر حالهم بمن وصل من سفر شاق إلى أصدق صديق وحبيب شفيق، فأكرمه بمجلس يتناسى فيه هموم السفر، فهم في تلك المناظر ينعمون على ضفاف الأنهار الجارية ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝١٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٦﴾ فلما رأوا ذلك وشاهدوا ما هنالك طفح الحمد من ألسنتهم مبتهجين ومتعجبين، فلا يرون شيئًا إلا اهتزت لجماله مشاعرهم قائلين: سبحانك اللهم؛ دليل ذلك ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ فكلمة «دعواهم» تدل على الاستمرار، كما يقال: آل فلان ديدنهم الكرم، وآل فلان ديدنهم الذكر وطلب العلم وتعليمه، إلى غير ذلك.

فسبحان من أنزل القرآن وجعل ظاهره أنيقا وباطنه عميقًا، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، كما قال الوصي سلام الله عليه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ دل ذلك على توادهم وتراحمهم، فكل واحد منهم سلم لأصحابه من المتقين يحبهم غاية

الحب وهم كذلك، فبينهم من التواد والتراحم أعظم مما بين الولد البار ووالده الحنون، قد نزع الله أسباب الغل من قلوبهم وطهر أوساخ الهجر من صدورهم، فكل واحد من المتقين يتنعم بما يراه من إخوانه المخلصين، وأي نعيم أعظم من التعظيم، قال الوصي عليه السلام: (أمنوا الموت فصفى لهم ما فيها ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ فعند ذلك طابت نفوسهم واستراحت قلوبهم كما قال سبحانه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

نبذة من عذاب أهل النار

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد ..

ومن ذلك إمعان النظر وإطالة الفكر في عذاب الله الشديد، مما ورد في آيات الوعيد، انظر وتأمل في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر٣٧]، وهذا خبر من الذي أحاط بكل شيء علمًا، فمتى يخفف عنهم العذاب حتى يسكن صراخهم، ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ يسحبون على أشرف أجسادهم ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾، فالخوف لا يفارق قلوبهم طرفة عين منذ هجم عليهم ملك الموت يقبض أرواحهم، ألا تسمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ وأي مصيبة في الدنيا أعظم من نزع الأرواح، فسكرات الموت تغشاهم والملائكة يهددونهم قائلين: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

ومن أهوال المحشر الشديدة أعاذنا الله وجميع المؤمنين والمؤمنات من ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فمن أجل إصرارهم على المعاصي وتماديهم في غيهم شاهدوا ما عملوا حاضرًا، ولا يبعد أن يكون ذلك صوتًا وصورة، فذلك أدعى لهتك أستارهم، لا سيما مع توارد الحجج الشاهدة عليهم والناطقة بجرائمهم، ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فأسماعهم تشهد بما سمعت من الحجج البينات في الدنيا، وبما استمع بها صاحبها للمنكرات، أعاذنا الله من ذلك، آمين.

وأبصارهم تشهد بما نظرت إليه من المنكرات، وبما رأته من الفروج المحرمات، وقالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال أمير المؤمنين: (سائق يسوقها إلى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها) ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ

عَنْ نَفْسِهَا﴾.

فكم حجة لأعداء الله داحضة وأستار مهتوكة وفضائح مكشوفة، تتوالى عليهم الهموم والمصائب حتى تسود لذلك أبشارهم ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

فعلى العاقل أن يفكر بعقل حاضر في أنواع العذاب، من ذلك التحريق -نعوذ بالله- في نار وقودها الناس والحجارة، ومن ذلك الخوف والهلع من عدة وجوه:

١. من ناحية غلظة الملائكة.

٢. من السلاسل والأغلال.

٣. من مقامع الحديد.

٤. من طعامها وشرابها الذي يقطع أمعاء ساكنيها.

وهل تدبرنا ما في هذه الآيات، وهي قول الله تعالى: ﴿..وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ فالملائكة يرغمونهم على شرب الصديد وعند ذلك يحصل ما هو أشد من الموت، ولكنهم يرغمون إرغاما ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، ومع تلك الويلات يلقون ما هو أشد وأعظم، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فكل محط سكين

من جلده ولحمه وعظمه وعصبه ومخه وجميع جوارحه يؤلمه غاية الألم ويذوق من ألمه ما لا يقدر قدره ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من ناحية الحيات والعقارب، ومن ناحية مقامع الحديد والسحب على الوجوه بين مقطعات النيران، ومن ناحية ظلمات جهنم، وكذلك الإلقاء في جهنم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾، فكيف لا نشغل أفكارنا بهذه الأمور والقرآنُ بها ناطق.

ثم قال: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، فنستجير برحمة الله من غضبه، وبعفوه من عقابه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ألا ترى أيها الناظر بعين البصيرة إلى خوف رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان يقسم بالله ﷺ لأصحابه قائلًا: ((والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، ولظهرتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم)). وكان يغشى على سيد الوصيين وإمام المسلمين ويعظ نفسه قائلًا: (كيف إن أنا عملت سيئة ربي محصيها وأنا ناسيها فيقول: خذوه فغلوه...) إلى آخر كلامه.

الابتلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الابتلاء سنة الله في خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، وكما قال رسول الله ﷺ: ((الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل)).

وهو نعمة من الله على خلقه، من ذلك الابتلاء بالفقر والجوع والخوف ونقص الأموال، وعدم القبول -أعني: الحظ- وعدم الجاه وعدم الأولاد والزوجة المرغوبة، وضد الفصاحة، من البلادة ونحو ذلك، فكل هذه التي ذكرت ونحوها هي من الله، وهي حسنة؛ لأن الله حكيم والحكيم لا يفعل إلا ما فيه المصلحة، فلا يمكن أن يفعل خلاف الحكمة والمصلحة؛ لأنه عالم بكل شيء غني عن كل شيء قادر على كل شيء، ومن كان كذلك لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة، وعلى المكلف أن يعتقد ذلك وإن جهل وجه الحكمة والمصلحة.

نعم، والله سبحانه يثيب على ذلك ثواباً لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه وتعالى، وعلى من ابتلي بشيء من ذلك ونحوه الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله، ففي الحديث القدسي: ((من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي ويشكر نعمائي فليطلب رباً سواي)) وكفى بهذا زاجراً.

نعم، وهذه الأشياء التي يبتلي الله بها عباده لا بد من الصبر عليها، وقد أجزل الله عليها من الثواب ما يجعل الإنسان بها

راضياً كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

النوع الثاني من البلاء: هي النعم التي أسبلها الله على خلقه، وقد حكى الله عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، وخطر النعم أعظم من أخطار ضدها؛ ولذا قال الوصي عليه السلام لأحد أصحابه حينما توفيت زوجته: (واعلم أن مصيبة يكتب الله لك أجرها خير من نعمة أوجب الله عليك شكرها).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى]، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾﴾ [العلق].

فمن هنا نعلم أن الإنسان إذا صبر على الأشياء التي تنفر منها النفوس حاز الفضل العظيم والربح الكبير، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

وكذلك الشاكر لنعم الله إذا شكر الله عليها استحق عليها ما لا يقدر قدره في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، وفي الآخرة يقول الوصي عليه السلام: (إن الحمد أفضل ما خزن وأرجح ما وزن).

فعلى الإنسان أن يكون عند البلاء صابراً وعند نعم الله شاكراً والله ولي التوفيق والصواب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

تنبيه:

اعلم أنه لا بد من الابتلاء لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

نعم، بيّن الله وجه العلة في الآية الأولى والثانية فلا يتميز الكاذب من الصادق في إيمانه إلا بالاختبار والابتلاء وكذلك الخبيث من الطيب، الله سبحانه وتعالى عالم بما سيكون من العبد قبل الابتلاء ولكن لا يعامل العبد بما سيفعل إلا بعد وقوعه من المكلف لا بما علمه الله من العبد قبل وقوعه، وهذا دليل واضح أن علم الله ليس له علاقة في فعل العبد فالعلم سابق غير سائق، والمقصود بهذه الآية من يدعي الإسلام وكذلك التي بعدها، نعوذ بالله من مضلات الفتن، ومن عسى أن يسلم عند الاختبار من العثار فحقيق بالإنسان العاقل أن تشغل هذه القضية عقله فكم من ناس ضلوا وزلوا وقد بذلوا في ماضيهم رخيصهم والغالي وكذلك من الجن، ننظر في إبليس لعنه الله كيف افتتن وقد عبد الله ستة آلاف سنة ومحا أعماله عن بكرة أبيها بمعصية واحدة كما قال أمير المؤمنين: (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ

سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ -أي: مع أمر- أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً).

فالابتلاء سنة الله في خلقه، ولقد ابتلى الله آدم بالشجرة ولم يعذره، وقد ذكر الله كل المبررات لو كانت تنفع منها أنه دلاهما بغرور، ومنها أنه قاسمهما، أي: حلف لهما بأيمان كما قيل: يصحي منها قطر الله، ومنها كذبه عليهما: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف]، ومع ذلك كله أنها بدت لهما سوآتهما ولقيا بعد ذلك كل عناء في هذه الدنيا، وقد نبه الله على ذلك بقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴿١١٧﴾﴾ [طه].

نعم، آدم أول نبي من أنبياء الله ولم يعذره ربنا حين خالف النصوص الإلهية والنواهي الربانية فما بالك بمن هو دونه، ولم يعذر الله نبيه يونس وقد نبه الله على خطئه بقوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، أي: لم نعذبه، فلم يقترف ما أوقعه في مصيبته جرأة على الله بل اجتهد وظن أن الله سيعذره على ما قد لاقى من قومه، ولم يعذره وحكى الله عنه ما حكى، من ذلك أن الله لم يعاقب أحداً من أنبيائه بمثل ما عوقب به بأن سجنه في بطن الحوت، ومن ذلك مناداته في الظلمات: بطن الحوت، والبحر والليل، وكذلك الظلمات المعنوية، منها: خوفه من الموت قبل أن يقبل الله توبته، ومنها: كيف لو قذفه الحوت إلى أين يكون عاقبة أمره وهو في عمق

البحر، ومنها: كيف يعصي الله وهو نبي، ألا تقرأ نداءه لربه وتبريه من حوله وقوته حين نادى رب العالمين قائلاً: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء]، فأكرمه الله بالإجابة بعد الشدائد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

فسبحان المفرج عن المكروبين بعد العصيان، والقابل لتوبة التائبين، فنستغفر الله من كل ذنب، ونسأله حسن الخاتمة، وكم جاهد مع أنبياء الله فلم ينجو منهم إلا القليل كما قال رسول الله ﷺ: ((فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم)).

فعلينا دائماً بإمعان الفكر في هذه القضية فهي حقيقة بالتفكر فيها طويلاً؛ لأنه يترتب على ذلك جنة عرضها السماوات والأرض إن سلم الإنسان من بلوى الاختبار، أو نار خالدين فيها أبداً إذا عطب الإنسان وعثر، نعوذ برحمته من غضبه، وبعفوه من عقابه.

ومن ذلك ما لقي أهل حُنَيْن حين تباهوا بالكثرة، وكذا أهل أُحد حين خالفوا أمر رسول الله ﷺ ظناً أن الله لم يعاقبهم، فعلينا بالدعاء الصادر من قلوبنا ومن صميم أفئدتنا ولا سيما في التوفيق وحسن الخاتمة، فالأعمال بخواتيمها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الابتلاء بالفقر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الفقر وبليته من الله لخلقه في هذه الدنيا ليتميز بها الراضي بقضاء الله من غيره، ولا يكاد يصبر عليها ويرضى بها مستمراً على ذلك إلا القليل، فإنك ترى الهم قد شغل قلب الفقير في ليله ونهاره حتى ولو تلا آيات الوعد من الله في الرزق ولو وعظه الواعظون فسرعان ما يتناسى عندما يذكر الحاجة لنفقته ونفقة أولاده، والذي يزيد الطين بلة أن الفقير يذكر حاجة غد وما بعد غد إلى الشهر ثم إلى السنة ثم بقية العمر، ويذكر ما قد عانا في ماضيه فلا يكاد يهدأ له بال.

ومن هنا اتخذه الشيطان لعنه الله باباً يدخل من خلاله إلى قلوب العباد فقيرهم وغنيهم وصغيرهم وكبيرهم، حكى الله ذلك بقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فهو لعنه الله يتوعد من أصغى بقلبه وسمعه إليه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً حتى استطاع لعنه الله أن يسيطر على قلوب الكثير من خلق الله، وتشعب عن ذلك معاص كثيرة بعضها يصعب حلها منها:

١- الشك في وعد الله وقسمه، فترى بعض الناس يصدق المخلوقين في وعودهم ولا يصدق الخالق.

٢- الوقوع في معاص بسبب ذلك بينه وبين جنسه، منها: الحسد وهو الداهية العظمى نعوذ بالله منه، ومنها: ظلم الناس في حلالهم مثل الغش وظلم الفقراء من حقهم وهي الزكاة، ومنها: الوقوع في المحرمات مثل أكل الربا والوقوع في الزنا -والعياذ بالله- والسرق والرشا. وكذلك يقع بسبب ذلك قطيعة الأرحام بسبب أكل المواريث، ويكثر الكذب بين أصحاب المهن، وعلى كل حال انتفى الشكر من قلوب وألسنة الكثير بسبب الشك في الأرزاق، فالشيطان لعنه الله قد استطاع أن يرسخ هذه الخليقة في قلوب أتباعه لعنه الله ويتوعدهم بالفقر حتى صدقوه، فلا يأمر بفحشاء إلا تلقوها بالقبول فالآباء يصيحون على أولادهم ليلاً ونهاراً ولو كان بعضهم طلبة علم فلا يهدأ لأحدهم بال إلا إذا رأى أولاده يركضون وراء الدنيا وسواء من حله أو من غير حله، نبت اللحم من السحت فصارت القلوب كالحجارة أو أشد قسوة فلا رحمة عند أكثر البشر لقريب ولا لبعيد ولا عاطفة على مسكين أو يتيم، من هنا كثرت الذنوب واختلفت القلوب وكثرت الخيانة وقلت الأمانة وفشت المعاصي المهلكات، وكل ذلك بسبب الفقر أو الخوف من الفقر تصديقاً لإبليس الملعون ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ:٢٠].

ومن هنا وضحت الحقيقة في فضل الشكر، وكما نبه على ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: (الحمد أفضل ما خزن وأرجح ما وزن) وكما قيل: «الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر» لأن الشاكر ينظر بعين البصيرة فيرى نعم الله عليه كبيرة، منها: نعمة الستر كما تقدم، ومنها: نعمة العافية، ومنها: نعمة الدين التي هي سبب في كل خير، ونجاة من كل شر، فالفقر عند الشاكر من أهون البلايا فلا تراه يلقي لذلك بالاً، قد وثق بالله غاية الوثوق حين تأمل عناية الله بالمولود في بطن أمه، وما أعد الله له بعد خروجه من بطنها، ونظر في أرزاق الحيوانِ في البر والحوتِ في البحر فركن إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، فلجأ بعد ذلك إلى الأسباب:

منها: التقوى كما في هذه الآية.

ومنها: صلة الرحم، فهي من أقوى الأسباب، وقد ورد أنها منسأة في الأجل مثراة في المال.

ومنها: الاستغفار، وقد نص الله على ذلك في سورة نوح عليه السلام.

ومنها: ذكر الله في مصلاه إلى أن تطلع الشمس.

ومنها: الصدقات على الضعفاء، ورد عن الوصي عليه السلام: (إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة) فكلما أتاه الشيطان لعنه الله متوعداً بالفقر لجأ إلى حصن الله المنيع وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝﴾ وقال: يريد الملعون أن أشك في وعد الله بالرزق والله

أصدق الصادقين وبيده خزائن السماوات والأرض؛ لأن الشك في وعد الله سبب في تلقي الدروس من الشيطان لعنه الله، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨].

فدلنا سبحانه وتعالى هنا على أقوى الأسباب للرزق، وهو الاستغفار بدليل: ﴿يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ والمغفرة لا تحصل إلا بعد الاستغفار، والفضل هو الزيادة.

ولما كانت الحاجة إلى النجاة من النار أعظم من الحاجة إلى الرزق قدم سبب الاستغفار وهي المغفرة، ثم جاء بما به يحصل خير الدنيا والآخرة وهو العلم، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

انظر الوثوق أين بلغ بصاحبه، هذه مريم البتول الطاهرة حكى الله في شأنها قرآناً: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]، فيجب علينا الوثوق بالله فهو الدين القويم.

وينبغي أن يجعل له الإنسان سبباً من الأسباب، وكان فضيلة العلامة الداعي إلى الله على بصيرة الحسين بن يحيى يحث على أسباب الرزق، ومن أقوى الأسباب كذلك الدعاء، وقد نبهنا الله على ذلك في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّازِقِينَ﴿١١٤﴾ [المائدة]، نسأله من فضله وجوده رزقاً حلالاً طيباً مباركاً فيه، نستعين به على طاعته إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

في الحث على المسارعة في دين الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي جعل المسارعة في دينه ديناً قوياً وصراطاً مستقيماً قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣]، فقد ندب الله في هاتين الآيتين وغيرهما إلى التنافس والمسارعة إلى ما عند الله مما وعد به أولياءه في جنات النعيم.

نعم، بنو آدم يتنافسون في هذه الدنيا في أشياء وهمية مضنونة بل خيال كاذب ولو حصلت المطالب في هذه الدنيا فهي كسراب بقيعة، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد]، انظر بالله عليك وحقق نظرك في هذه الأوصاف الواضحة والعبر الفاضحة وما صور الله به هذه الدنيا الحقيرة الفانية، فقد مثلها سبحانه وتعالى بلعب الأطفال عديمي العقول، وبلهو الغافلين المذمومين في أفعالهم وبزينة ربات الحجال، وبتفاخر المتبخترين أهل الشين والسفه في أفعالهم، وبأهل

التكاثر الذين ليس لهم صلة ولا وثوق بخالقهم، بل حصر وقصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أنها ليست إلا ما ذكر.

ثم شبهها سبحانه وتعالى بالمطر النازل من السماء الذي ينبت به العشب والزرع فيلبث قليلاً ثم يتحول إلى حطام، ثم نبه الله بعد ذلك إلى ما هو أهم من ذلك وعلى ما خلقنا من أجله خاصة بقوله سبحانه: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، وكرر ذم الدنيا مرة أخرى بقوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

نعم، الإنسان يكدح ويتعب نفسه الشهور والسنين في أشياء وهمية كما سبق، الوصول إليها لا يعد ربحاً ولا مكسباً ولو حصلت، علماً بأن الكثير لا يصلون إلى ما أملوا وإنما هي خيالات كاذبة، والله سبحانه وتعالى قد أعد لنا أشياء حقيقية قد رسمها لنا في كتابه وشوق إليها وحثنا عليها ووعدنا عليها بالإعانة إن نحن سعينا لها ومضينا في طريقها قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس]، وأمثال هذه الأوصاف الكثير والكثير في كتاب الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النبأ]، ومثل قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ

وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة].

ومن أجل هذا خَلَقَنَا ربنا كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، والمعلوم أن العبادة المقبولة جزاؤها الجنة، فالتنافس في نعيم الجنة وما صور لنا فيها خالقنا هو من شيم الرجال أصحاب العقول الزكية والخلائق المرضية وهم الذين فازوا وربحوا واستفادوا من خلق السماء والأرض وما بينهما وكذلك الليل والنهار كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران]، فهم بهذه المخلوقات مستفيدون، وبإمعان النظر الدقيق فيها يوحدون، وبالله عارفون، ألا تسمع إلى عقيدتهم وقولهم في ربهم وخالقهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴿٩﴾﴾ [آل عمران]، سبحان الله أي تصوير للأشياء النافعة أبلغ من هذا وأمثاله في كتاب الله غير أن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

فشمر أيها الراغب فيما عند الله وما وعدك به واغنم هذه الحياة القصيرة الفانية ولا تفرط في أعظم ثمن عرفه الأنبياء والملائكة وهو الدين القويم فالدين ثمن الجنة، ونعيم الجنة ليس له مثيل ولا نهاية.

فالسعيد -والله- من راجع حسابه، وفَاقَ من غفلته، وتحلى بحلية الصالحين والصابرين من طلب العلم وحضور مجالس الذكر، وطهر لقمة عيشه من الحقوق من الزكوات والمواريث والغش وغيرها، وأجاب داعي الله وحول نضريته إلى ما وراء القبر، وعلم أن الأمر كما قال رسول الله ﷺ: ((إن من في الدنيا ضيف وما في يده عارية، والضيف مرتحل والعارية مردودة)) فغدًا يسفر الظلام ويخسر هنالك المبطلون، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴿٥٢﴾﴾ [غافر]، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١٢﴾﴾ [الحديد]، وقد شاهدوا أعداء الله يتجرعون كأسات الإهانة ويُخاطبون بقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد]، أعاذنا الله وجميع علمائنا الأبرار وشيعتهم الأخيار والمؤمنين والمؤمنات أجمعين، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

في وصف الدنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وبعد:

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الدنيا وطلب السائل منه عليه السلام أن يصفها فقال عليه السلام: (مَا أَصِفُ مِنْ دَار أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ). وقال عليه السلام: (مَا خَيْرٌ بِخَيْر بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيم دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وكُلُّ بَلاَء دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ).

سلام الله عليك يا أمير المؤمنين، انظر بالله عليك إلى هذه الجمل الذهبية والكواكب الدرية فهل ترى لها في كلام المخلوقين وصيفًا، أولها قوله عليه السلام: (بماذا أصفها؟) يعني: أنها لا قيمة لها حتى توصف، فليست بأهل للوصف وإن كان ولا بد من الوصف فإليك بعض أوصافها: (أولها عناء) صدق سلام الله عليه، وأي عناء أبلغ

مما يعانيه الإنسان من بداية أمره، ففي بداية الطفولة لا تجف له دمعة ليلاً ولا نهاراً، وكم يا أمراض من الحمى والحصبة والإسهال والطرش والسقوط على الأرض تارة على وجهه وتارة على قفاه وأخرى على جنبه الأيمن أو الأيسر، وعلى ذلك يستمر الطفل سنين عديدة، ثم يعاني من الاضطهاد ما لا يقدر قدره من قهر الأطفال، ومن الحاجة إلى ما في أيديهم، وعلى ذلك يستمر حتى تتوارد عليه الآمال من كل ناحية فيخرج مما هو فيه من أيام الطفولة إلى ما هو أشد، كالمستجير من الرمضاء إلى النار فتراه يرمي ببصره تارة إلى قريب وأخرى إلى بعيد يفكر فيما في أيدي أقرانه من حطام الدنيا ومتاعها، وسرعان ما ترد عليه عشرات الحسرات فترى الطمع يسارع إلى قلبه كالصفار في الزرع وكالشيب في شعر الرأس، ويزداد الطين بلة إذا جلس عند أصحاب الدنيا وسمع كلامهم في أنواع التجارات ثم يحصل بعد ذلك على بعض المطلوبات في نفسه فلا تنقضي له حاجة إلا وقد جاء الطمع بآخر تتشعب عليه الآراء كمن تطير العصافير من يده إلى كل ناحية يحدث نفسه أحياناً بالزراعة وما أحلاها فما أسعد من صلحت له واتسقت، وأخرى في التجارة وتقلب أهلها وما هم فيه من النعيم فالسعيد عنده من ملكها، ثم يجول بفكره على أصحاب المهن والوظائف فتارة يغبط هذا وأحياناً يحقر هذا، فإذا استتب له ما أراد من أمر دنياه وصار من أهل القبول والحظ العظيم كما زعموا فزعت إليه الشبيك من كل ناحية -أعني:

شبكات الأطماع- فتراه لا ينفك من العتاب لأهله وأولاده والتشكي منهم أنهم مهملون لحقهم وأنه قد بلي بهم فلا يدري كيف المخرج، وعلى ذلك يستمر حتى ملهم وملوه وكرههم وكرهوه يأنس بمجالسة البعيد ويتأذى من دنو القريب، له معاملات مع الآخرين يتحير في الخلوص منها فكره وكاد أن ينفذ من أجلها صبره، يخاف على بياناته وعلى ما في يده أشد من خوف الأم على مهدها، وعلى هذا تمضي أيامه في بداية أمره وفي أفضل أيام عمره.

ثم قال عليه السلام: (وآخرها فناء) شبيه من يصعد إلى قمم الجبال الشاهقة ثم يبتدئ بالنزول ففي بداية النزول يصحبه صاحبان لا يفارقانه، إحداهما الفترة، والأخرى الضجرة، فلا رغبة له في شيء من ملاذ الدنيا إذا جلس وحده يحب أن يكون بين جماعة، وإذا اجتمع بآخرين يحب أن يكون وحده، وكل واحد من العائلة يتجنب مجالسته قد ملهم وملوه وكرههم وكرهوه.

ثم قال عليه السلام: (حلالها حساب) إنا لله وإنا إليه من الراجعون كيف المخرج للفقراء المعدمين فما بالك بأهل التجارة المتغافلين؟! وهل بقي عذر لأحد بعد قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)).

فكيف المخرج إذا بدا على مكلف يوم القيامة في صحيفته حق لمخلوق وقد تجاهل عنه وظلمه فلا ندم ينفع ولا توبة تقبل كم قد خطر على بال صاحبه ويقول: سوف أتخلص منه اليوم أو غداً أماني كاذبة ووعود خداعة، لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال سلام الله عليه: (وحرامها عقاب) نعوذ بالله من الوقوع في مزالق الحرام، فالشيء بضده يعرف يقول رسول الله ﷺ: ((لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة)).

نعم، عاقبة الحرام العقاب بالنار والخلود في جهنم وبئس القرار، وكما في الحديث: ((يكاد الناس أن ينقصوا حتى لا يكون شيءٌ أحب إلى امرئٍ مسلمٍ من أخٍ مؤمنٍ أو درهمٍ من حلالٍ، وأنى له به)).

ولم يفصل عليه السلام بين كثير ولا قليل في قوله (حرامها عقاب) قال رسول الله ﷺ: ((من اقتطع حق مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار)) قيل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: ((وإن كان قضيباً من أراك)). حتى قال ذلك ثلاثًا.

ثم قال عليه السلام: (من غني فيها فتن) وأي مصيبة أعظم من فتنة الغنى فالغنى ينتج عنه البطر والأشر، انظر بالله عليك في أسر الفقراء وأسر الأغنياء في هذا الزمان، وكذلك في كل زمان، فالخلاعات والتبرجات والتبختر والطرب في صالات الأعراس

بأصوات مرتفعات هي طريقة أهل الترف والثراء وللأسف قد اختلط الحابل بالنابل فترى الكثير من هذا الصنف كان آباؤهم علماء يضرب بهم المثل في التقوى والدين ومكارم الأخلاق فاتجهوا إلى الدنيا وأقبلت عليهم فتخلوا عن القيم الدينية والمكارم الإنسانية فلا ترى أقل حياء من أولادهم وبناتهم في المجتمعات والأسواق ولا سبب ذلك إلا الترف، ومن الغنى يحصل التكبر والمباهاة والمفاخرة على الضعفاء والعون بالأموال لأعداء الدين الظالمين.

ومن أعظم المصائب في هذا الزمان الجوالات المتطورة التي من خلالها يشاهدون فعل الفاحشة عياناً ويطلعون على أشياء لم يعهد أحد في بلائدنا لها بمثيل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه من الراجعون.

فليحمد اللهَ الفقيرُ على فقره وقلة ذات يده، وليعلم أن حبل هذه الدنيا قصير وشرها كبير، وللفقراء برسول الله ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

غير أن الأمر كما قال عليه السلام: (ومن فقر فيها حزن) هذه بلية الفقر، فالفقير حزين مهموم مغموم متضايق، عقله مشغول بنفقته ونفقة أولاده ولا يقتصر على ذلك، بل فكره يسرح إلى حالات الأغنياء من التنعم بالسيارات والبيوت المنظمة ومحلات التجارات وغير ذلك مما في أيديهم وقد تناسى نعمة الله عليه

بالعافية والأمان والدين إن كان من أهل الدين، وتناسى ما وعد الله الصابرين في جنات النعيم.

وما سبب فتنة الأغنياء وحزن الفقراء إلا قلة الدين وفقد اليقين وعدم النظر في عاقبة الأمور، فلو نظر الغني في عاقبة أمره ونهاية عمره لصغر ذلك في عينه وحقره بقلبه ونظر إليه قاضي حاجته إلى ما خلفه وصدق الوصي سلام الله عليه في قوله ذاماً للدنيا الفانية: (جيفة افتضحوا بأكلها) وفي قوله مصوراً حالات الغافلين عند الموت: (وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ...) فيود أو قال: (وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ).

وكذلك الفقير لو نظر في عاقبة أمره نظر المستبصر لَحَمِدَ اللهَ ليلاً ونهاراً واسترَّ بما هو فيه غاية السرور كما قال في وصفهم أمير المؤمنين: (قد أنسوا بما استوحش منه المترفون)، فالله سبحانه وتعالى لا يجمع على عبده الصالح عسرين، ولو لم يكن من المسليات للفقير إلا خفة الحساب يوم القيامة وقلت التبعات يوم الطامة يوم ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان]، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]، لكفى بذلك مسلياً عن حطام الدنيا.

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أصبح معافى في بدنه،

آمنًا في سربه، وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)) أو كما قال صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

ثم قال عليه السلام: (ما خير بخير ووراءه النار) وأي خير لمن عاقبته نار وقودها الناس والحجارة، خالدين فيها أبداً، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء:٥٦]، بين مقطعات النيران شراب يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء، وحميم يسلخ الجلود ويصهر البطون، ومقامع من حديد، يسحبون في السلاسل على وجوههم بلا رحمة ولا شفقة، فالملائكة بعذاب أهل النار يسعدون، وبصياحهم وصراخهم يتلذذون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فكفى بهذا الكلام من سيد الخطباء مسلياً عن الدنيا ولذاتها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم: (ولا شر بشر ووراءه الجنة) ورد ((أنه يؤتى بأشد المؤمنين ضررًا فيقال: اغمسوه في الجنة فيغمس فيقال: هل رأيت ضراً أو مسك ضر قط؟ فيقول: لا)). غمسة واحدة أنسته كل ما لاقى من الهموم في هذه الدنيا الفانية. وقال سلام الله عليه: (وكل بلاء دون النار عافية، وكل نعيم دون الجنة حقير).

نسأل الله العظيم عفوه ورحمته ومغفرته وهدايته وتسديده إنه على ما يشاء قدير. وعلينا أن نمعن النظر فيما وعضنا الله به، وما وعضنا به رسوله صلوات الله عليه وآله، ونكثر من التفكر في أحوال الموتى وفيما تركوا من البيوت الخربة والأموال الدامرة،

وفي ما آلت عاقبة أمرهم إليه، وهل فداهم أحد من أولادهم وأقربائهم، ما أكثر العبر وأقل الاعتبار كما قال الوصي عليه السلام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نعمة الله بالتوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

من أكبر نعم الله العظيمة ومننه الجسيمة على عباده المكلفين ما دلنا عليه في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الرحيم ﷺ من قبول توبة التائبين وغفران الذنوب للمنيبين وأن التائب من أحباء الله، وقد ذكر سبحانه وتعالى توبة أبينا آدم عليه السلام، وأمر نبينا محمدًا ﷺ بالتوبة وجميع الأنبياء كذلك، فالله سبحانه يريد الرجوع من عباده إليه مع ما جعل الله في التوبة والاستغفار من الخير الكثير من الأرزاق والعافية ومن مدِّ الأعمار قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح].

فالتائب هو من عباد الله الصالحين الذين أجابوا ربهم حين ناداهم بقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر]، فالتوبة سبب كل خير وبركة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف]، وقد ذكر سبحانه التوبة في مواطن كثيرة في كتابه الكريم

مرغباً في ذلك غاية الترغيب يتلطف بالنداء سبحانه لعباده العصاة رجاء أن يتوبوا ليكسبوا ربحاً عظيماً وخيراً جسيماً وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة].

ومن أعظم ما رغب به سبحانه عباده المذنبين ما نبه الله عليه في سورة الفرقان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]، ذكر الله ثلاثاً من الكبائر وذكر أن عذاب أصحاب هذه الذنوب يضاعف يوم القيامة لشناعتها وعظم فضاعتها لا سيما وقد عرضت التوبة لأصحابها فمن تاب فقد أجزل الله عطاءه بما يكتب له من ثواب التوبة، فثواب التوبة عظيم لا أحد يعلم مقداره إلا رب العالمين.

ألا ترى لو أن كافراً أو فاسقاً فعل العظائم وجميع أنواع الجرائم ندم قبل موته وتاب إلى الله من صميم فؤاده وأضمر ألا يعود إلى مكروه وخاف من عذاب الله الدائم والخلود في النار-

لكان ذلك من المتقين الأوابين الحافظين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝٣٣ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق].

فالمتغافل عن التوبة المتساهل بها قد رد كرم الله عليه ورحمته إليه وقد أقل حياءه على خالقه وسيقابل بالعنف يوم القيامة وتعظم مصيبته يوم الطامة، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر].

وحكى سبحانه مقالتهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝١٠٩ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝١١٠ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝١١١﴾ [المؤمنون].

فذكر الله المؤمنين بخير ذكر أنهم كانوا يطلبون من الله الغفران والرحمة، وأن المفرطين كانوا منهم يسخرون، فليحذر كل عاقل من التساهل في التوبة فالمتساهل مكذب بوعد الله متجاهل

لعذاب الله، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يدل على تساهلهم في الدنيا وغفلتهم.

فعليك يا طالب النجاة أن تستحي من الله حق الحياء لأجل ما عرض لك من القبول وحط الذنوب وأنه سيجعلك من أحبائه ويدخلك جنته ويزيدك يوم القيامة من فضله، نسأل الله أن يلهمنا ذكره ويرزقنا شكره إنه على ما يشاء قدير.

نعم، التوبة الجملية إذا كانت من صميم القلب وصاحبها صادق تكون سبباً في خلاص صاحبها من حقوق المخلوقين بمعنى أنه سيوفق صاحبها ويخارجه الله ويجعل في قلبه عزيمة ولو كان ذلك الحق قتلاً لَخَارَجَ الله صاحبه وهانت عليه بذل روحه وقذف في قلوب أهل الحق الرحمة له فهو القادر على كل شيء، ودليل ذلك بكاء الشيخ في حضرة رسول الله ﷺ عندما سمع وعظ المصطفى فبكى فقال رسول الله ﷺ: ((ما يبكيك يا شيخ؟)) قال: يا رسول الله، لقد كبرت سني ودق عظمي وكثرت ذنوبي، فقال النبي ﷺ: ((آلله ما يبكيك إلا ذلك؟)) قال: والله ما يبكيني إلا ذلك، قال: ((أبشر يا شيخ قل: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» تغفر ذنوبك يا شيخ)) قال رجل: لهذا خاصة يا رسول الله، أم لأمتك عامة؟ قال: ((لهذا خاصة ولأمتي عامة)). وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بحث حول قوله تعالى: ﴿إنا أخلصناهم..﴾إلخ

مشهد آخر من مشاهد القرآن الكريم تفضل به علينا مولانا أرحم الراحمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات]، صدق الله العظيم.

فلنتأمل في هذه المقتطفات الربانية والآيات القرآنية، وما وسم الله به عباده المتقين من الأوصاف الدالة على تعظيمهم وعلو درجاتهم وغزارة معرفتهم بخالقهم وكونهم ممن استخلصهم خالقهم، انظر في الآية الأولى والآية التي بعدها، فتأمل ما في الإضافة من التشريف لهم وكون الإضافة إلى لفظ الجلالة، فكأنهم عرفوا الله بالأوصاف والأسماء التي اشتملت عليها لفظة

الجلالة، فخصهم الله بالإضافة إلى العظيم من أسمائه، وفي لفظة «عباد» إشعارٌ بتواضعهم وصدق نواياهم وخلوص عبادتهم لخالقهم، وإكمال وامتثال لما به كلفهم.

وقوله تعالى: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ جيء به اسم المفعول؛ لأن غيرهم هو الذي أخلصهم، وهو الله رب العالمين بما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴿٤٦﴾﴾ فقد وجهوا رغباتهم وقلوبهم إلى الآخرة، قال الوصي عليه السلام: (شُغِل مَنْ الجنةُ والنارُ أمامه).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴿٤٢﴾﴾ نعت الله باسم الإشارة بُعْد مقامِهِم الرفيع فهم أهل لرزق معلوم، أي: معلوم مقداره، ووقته معروف بأوصافه، وقد قيل: إن طعام الجنة وشرابها يوجد لآخره من الذوق والحلاوة مثل ما يوجد لأوله.

وقوله تعالى: ﴿فَوَاكِهُ﴾ نعت لهذا الرزق المعلوم، أي: كونه مما يتفكهون به وتطرب قلوبهم إليه، ثم ساق في أوصافهم ما تحار فيه الألباب، وختم ذلك بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴿٦١﴾﴾، فالسعيد من جعل الموت وما بعده شغله الشاغل يعمل من أجل ذلك الصالحات، ويتجنب المقبحات.

نعم، ورد عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك))، فعليك أيها الطالب للنجاة بإمعان النظر في آيات الله القرآنية والأحاديث النبوية فإن ذلك أدعى لفهم الكثير،

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، مثِّل في نفسك وصوّر في قلبك وقرّر في لبك كيف تكون الفرحة والسعادة حين تلقى رسول الله ﷺ وقد أيقنت أنك من جيرانه في جنات النعيم، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء٦٩]، اللهم اجعلنا من أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

من مشاهد القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

مشهد من مشاهد القرآن الكريم تتوق له النفوس وتتطاول له أعناق الراغبين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية]، بعدما ذكر الله أعداءه بشرّ ذكرٍ من الخنوع والذل والانكسار والتعب والجهد الجهيد، وأنها تصلى ناراً حامية، وأن لهم في جهنم عينًا آنية تتقطع لها أمعاؤهم وتنسلخ لدنوها فرواتُ وجوههم، وأن طعامهم هو الضريع، وهو الشيء اليابس الذي لا يوجد فيه أثر الرطوبة، وأن ذلك الطعام من جهة نفعه تناولُهُ وعدمُهُ سواء بل إن ضرّه هو الضر العظيم عند تناوله.

ثم ذكر الله أولياءه المتقين بأحسن ذكر تشريفاً لهم ومرغباً سبحانه وتعالى في سلوك طريقهم، وهذه من نعم الله علينا البالغة فقال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ فلا يمدح الله إلا الشيء العظيم، وذكر الله الوجوه لأن الوجه أشرف جسد الإنسان وإلا فالنعومة لأجسادهم شاملة لأنهم أتعبوا في الدنيا وجوههم وأجسادهم في طاعة الله فهم في طاعة الله دائبون وعلى صلواتهم

دائمون، الخوف لا يفارق قلوبهم، يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فهم من خشية ربهم مشفقون.

نحفت أجسادهم خوفاً من عذاب جهنم فهم بتلك الصفة حقيقون، ومن الذي وصف وجوهَهم بالنعومة؟ إنه رب العالمين وأقدر القادرين، جلت قدرته.

ثم قال: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ فلا يزالون يذكرون سعيهم في الدنيا ويحمدون عاقبته، صبروا أياماً قليلة فاستراحوا طويلاً، يذكرون ما كانوا عليه من الخوف، وما صاروا إليه من الأمان، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى حاكياً مقالتهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور].

فالجزاء من جنس العمل، خافوا في الدنيا فأعقبهم من بعد خوفهم أمناً أبدياً وسروراً سرمدياً، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝٣٥﴾ [المطففين]، غضوا أبصارهم فأباح الله لهم المناظر البهية والنظر في الوجوه المرضية مقابل غض الأبصار في الدنيا عن الحرام، وملئت قلوبهم فرحاً مقابل الهموم التي كانت تساورهم في الدنيا، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝١٠٢﴾ [الأنبياء]، تتغذى قلوبهم بأصوات الحور الحسان وهن يغنين بذكر الله كما ذكر لي ذلك مولانا المرحوم سيدي حسين بن حسن رحمة الله عليه ورضوانه، فأي

رضا أحسن من رضاهم، وأي سعادة أبلغ من سعادتهم، فالسعيد واللهِ من قهر نفسه في هذه الدنيا الفانية ليسعد بذلك في الآخرة الباقية.

وبعد قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ قال: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ فالجمال بلغ منتهاه في أين؟ في جنة عالية فهي رفيعة القدر، أكلها دائم وظلها، لا تجف أنهارها ولا تنقص، فأنهارها من العسل والخمر والماء والألبان مطردة لا تنقطع أثمارها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة].

أشجارها مغروسة بين كثبان المسك، الأسِرّة للاستمتاع قد وضعت على حافات تلك الأنهار وليس الخبر كالعيان، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين]، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝١٧﴾ [الواقعة]، وجوههم كاللؤلؤ، لهم خدود كصفائح الفضة من صفائها، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصافات]، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن]، و﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات].

في ضيافة خالقهم يتنعمون، وفي ما اشتهت أنفسهم خالدون، نزلاً من غفور رحيم، فالسعيد والله من أطاع ربه وأخلص لله نيته، وحقر هذه الدنيا الفانية، قال أمير المؤمنين: (جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا) ووصف أهلها بالكلاب العاوية والسباع الضارية.

فطوبى لمن استولى الخوف على قلبه في هذه الدنيا، وطوبى لمن بشرته الملائكة بالأمان بين تجرع سكرات الموت مبشرة له: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت]، فهو من الآمنين يوم القيامة، وممن يحاسبون حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً.

ثم قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ فلا يصدر من أفواههم إلا الطيب من القول، كلام الأحباب يشبه العسل الشهد عند سماعه، وهو من جملة المشتهيات، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة:٢٥]، فالمؤمن يعظم من خاطبه وهم يعظمونه، وتحيتهم فيها سلام فيقطعون الملايين بل المليارات من السنين لم يطرق سمعَ أحدِهم كلمةٌ تسوؤه، فيستمتعون بحسن الكلام من خدمهم والحور الحسان ومن سائر من في الجنة من الإخوان، وهذه نعمة حقيقة بأن يلقي لها المكلف باله، فالدنيا لا يكاد يمر يوم إلا وقد طرق سمعك ما ينغص عليك لذة ذلك اليوم، من كلام يجرح قلبك مما يواجهك به الغير أو مما تسمع من الظلم لغيرك من المستضعفين أو ما يعاني بعض الناس من الفقر أو البلاء أو أي مشاكل أخرى.

أما في جنات النعيم فلا تسمع إلا قيلاً سلاماً سلاماً كما حكى الله ذلك في القرآن الكريم، فنسأل الله العظيم البر الرحيم أن يوصلنا إلى جنات النعيم مع النبيئين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فالسعيد والله من ظفر برضوان الله ففاز بالحضين معاً ربح حياته الدنيوية فاستعملها في طاعة الله ووصل إلى ما أعد الله لأوليائه في جنات النعيم.

ثم وصف الله الجنة العالية بقوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ فهذه بعض أوصاف الجنة فلا ترى إلا أعيناً جارية وأنهاراً مطردة، وكذلك قصوراً مبنية فكل شيء قد أعد لقدوم المتقين الذين بذلوا رخيصهم والغالي، آنيتهم من الذهب والفضة ولباسهم الحرير فلا يرون إلا المناظر البهية والوجوه المرضية، ويكرمون بزيارة الملائكة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد].

نعم، بداية الصورة الكريمة تشعر بالغضب على أعداء الله، ثم وصف الله المتقين والجنة بما ذكر، ثم ذكر أشياء من الدالة على قدرته البالغة تذكيراً بنعمه عز وجل عليهم ولفتاً لأنظارهم العمياء كي يفيقوا من سكرة جهلهم ويخرجوا من حيرة ضلالاتهم فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [الغاشية]، خلقت هذا الخلق البديع، والتركيب العجيب الذي تحار فيه العقول فهي لهم مذللة يقطعون عليها الفيافي والقفار، تبرك ليحمل على أظهرها ولوضع الأحمال الثقيلة عليها، فلو ركبت على غير هذا

التركيب لقلت فائدتها من ناحية الأحمال الثقيلة عليها وقل من يستطيع أن يمتطي أظهرها، فسبحان من خلق فسوى وقدّر فهدى.

وكذلك ما جعل الله فيها من الفوائد من اللحم والجلود والوبر والحليب، وما جعل الله لأهلها فيها من الجمال قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل]، وتملكها عند العرب من أعظم ما يسعدون به فبدأ الله بذكرها واستنكر عليهم كيف لا ينظرون في هذا الخلق البديع فيؤمنوا بخالقه وخالقهم ويشكروا بارئه ومبدعه ولكن لا جدوى فهم تائهون في حيرتهم غارقون في ظلم جهالاتهم، لا يفرقون بعقولهم بين ليل ولا نهار قد دنسوها باتباع الشهوات.

ثم ذكر قدرته الباهرة من رفع السماء وما فيها من الآيات وكونها من أكبر المرئيات ثم أردف ذلك بالجبال الشاهقات وختم ذلك بالأرض المسطحة، فسبحان من وضع الأشياء في مواضعها وجعلها دليلاً واضحاً على قدرته الباهرة وصنعته البليغة، فهي ناطقة بوجود صانع حكيم وقادر عليم مباين لها في الذاتية كما قال الوصي عليه السلام: (باينهم بصفته رباً كما باينوه بحدوثهم خلقاً).

من عجائب القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

قال الله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل]، طلب نبي الله سليمان من الله ملكاً لم يعهد له أحد مثيلًا ولم يخطر ببال أحد من العقلاء ولم يكن في حسبان نبي الله سليمان عليه السلام، وإن كان قد طلب من الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فهو إنما أراد بذلك قوة هائلة في العتاد والعديد وأموالاً طائلة من الذهب والفضة، وإنما طلب ذلك من الله ليستعين بذلك على أعداء الله الكافرين؛ لتكون كلمة الله هي العليا لا للترفه والتلذذ، وإلا لما أجيبت دعوته عليه السلام.

فأعطاه الله هذا الملك العظيم وملّكه الله رقاب الجن والإنس والطير، ولكل صنف قادة وزعماء، وكما أن للإنس والجن محاورات وأجوبة وخطابات فكذلك الطير وسائر الهوام، ذكر الله الجن أولاً لتمكنهم من حمل الأثقال وقطع المسافات بسرعة فائقة وكونهم لا يُرون بالأبصار، ونبي الله مملك عليهم فقلوبهم ترجف خوفاً منه، وله قدرة على تعذيبهم وزجرهم فهم منقادون لأمره يقربون له كل بعيد، ويصنعون له عجائب المصنوعات.

ثم ذكر الله الإنس وهذا شيء معهود بأن يكون الجند من البشر؛ ولذلك وسَّطه بين الجن والطير، ثم جاء بالطير بعد ذلك وهذا أعجب مما سبق؛ لأن الجن جنس واحد والإنس كذلك، والطير أجناس كثيرة مختلفات وكلّ له قادة، ولكل جنس من الطير فوائد وتدريبات خاصة كما للبشر كذلك.

نعم، هذا الملك لم يحصل عليه نبي الله سليمان عليه السلام إلا بعد تعب في طاعة الله وجهد جهيد، وقد أشار الله إلى ذلك في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧﴾ [الليل]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق].

ثم ذكر الله القصة العجيبة بعد ذلك، وهي قصة النمل، وذكر تفنن القيادية من النمل في التعبير وأن ذلك بلسان المقال؛ بدليل «قالت»، وأن للنمل علمًا مسبقًا بوجود نبي اسمه سليمان، وأنه لا يقبل من الجند إلا من يتقيد بنظام دقيق، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يظلمون أحداً من خلق الله. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ محذرة عن أمر عظيم وخطب جسيم محذرة عن موت جماعي وطامة لم يسبق لها مثيل، وسلام الله على يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق عندما استدل على أن الحياة نعمة بليغة بدليل أن كل حيوان يكره الموت.

﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ فمساكنكم أقرب شيء للنجاة فقد داهمكم الجيش السليماني؛ يدل على ذلك سماعه

لندائها، فلا وقت كاف للهروب، ولا قوة على المدافعة، ولا علم للجند بوجودكم حتى يتجنبوا قتلكم، والأجسام صغيرة لا تكاد ترى فأقرب نجاة اللجوء إلى المساكن.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ ومن حسن كلامها لما اشتمل عليه من السياسة الحكيمة والقيادة السليمة ومن التنزيه لنبي الله وجنده من الظلم، وأنه لا يفعل الجور والطغيان إلا الظلمة والمجرمون، وجيء بالجملة اسمية قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ليدل بذلك أنهم على ذلك مستمرون، وأن العدل وعدم الظلم صفة لهم ثابتة ومستمرة.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ مما سمع غير أن خشية الله له مصاحبة وشكر الله لا يفارق لسانه وجنانه، فنادى ربه أن يوزعه شكر نعمائه عليه وعلى والديه، ومن أعظم نعم الله عليهم النبوة، وطلب من الله أن يوزعه نية وقوة يعمل بها الصالحات من الأعمال المرضية، وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين تهضيماً لنفسه ﷺ.

فالقرآن كما قال الوصي عليه السلام: (لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه) أو كما قال.

ثم تأتي قصة بعد هذا عجيبة وكل القرآن عجائب وغرائب قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي

﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل]، قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ جاءت جملة فعلية؛ لتدل على التجدد والحدوث وأنه كان يتفقد جنده بنفسه ولا يركن إلى غيره فذلك أحزم للأمر، وكأن الهدهد هذا من كبار الشخصيات في جيشه وإلا لما بان فقده، ويدل على ذلك علمه بتوحيد الله ومعرفته بعظمة الله حين استنكر على الملكة وقومها قائلاً: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل].

ولما فقده نبي الله سليمان عليه السلام اغتاض لذلك وتكلم بكلام فيه غاية التهديد؛ ليقطع بذلك أطماع الجنود من الجن والإنس والطير فلا أحد يحدّث نفسه بالتلعب والتساهل في ما به أَمَر لا سيما مع القسم المحذوف في أول التهديد، قيل: إن بعض الطير أخبرت الهدهد قبل وصوله إلى نبي الله بالتهديد، فقال الهدهد: ألم يستثن نبي الله؟ قالوا: بلى. وذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾، فقال: إذاً كفيت. قيل: إنه حين وصل إلى حضرة نبي الله ألصق جناحيه وذيله بالأرض وتقدم إلى نبي الله ووقف بين يديه ثم خاطبه قائلاً: يا نبي الله، اذكر وقوفك بين يدي الله، فلما سمع النبي هذه المقالة ارتعدت فرائصه، وعند ذلك قص عليه ما رأى، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً!! العالم بخفيات الأسرار، من يعلم السر وأخفى.

[قصة كليم الله موسى مع الخضر عليهما السلام]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، أما بعد:

في قصة كليم الله موسى عليه السلام مع الخضر العجائب والغرائب وما لا يقدر قدره من العبر والمواعظ، حكى الله قصته عليه السلام في سفرته الشاقة مريداً بذلك السفر المجهد قنص الفوائد وطلب الشوارد من المسائل العلمية وإن كان نبياً من أولي العزم فهو أعرف بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الاسراء] من غيره.

نعم، أخبره الله برجل في مجمع البحرين أعطاه الله علماً وحكماً غير أن له فرعاً من تلك العلوم انطوى على خفيات الحقائق والعلوم الغامضة فهز نبيَّ اللهِ الشوقُ إلى ذلك ولسان حاله يقول صلوات الله عليه: ما لهذا الأمر إلا أنا، فأنا أحوج إلى المعلومات الخفية والمسائل العلمية من غيري، فأخبر فتاه بعزمه على ذلك مهما بلغ الثمن أو اشتد عليه الجهد متوكلاً على الله سبحانه وتعالى، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ٦٠﴾ [الكهف]، كلامه لفتاه يشعر بالهمة البليغة والعزم القوي على مواصلة السير ولو احتاج ذلك إلى زمن طويل، قيل: إن الحقب ثمانون سنة، فواصل السير مع فتاه وقد نفدت نفقتهما ولم يبق لهما من القوت إلا شيء يعلمه الله مع صيد البحر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف]، قد دله الله على مجمع البحرين أنه إذا وصل إليه فسوف يريه معجزة دالة على بلوغه ذلك المكان الذي سيجد فيه ضالته المنشودة، نام كليم الله موسى وفتاه صاحي فأحيا الله تلك السمكة الدالة على مكان الشيخ المطلوب لكليم الله موسى عليه السلام، ولم يكف إحياؤها حتى تسللت إلى البحر بمرأى من فتى موسى عليه السلام، ولما كان الفتى يرى معجزات موسى عليه السلام باستمرار- نسي تلك المعجزة مع ما هو فيه من التعب والنصب والغربة عن الوطن، ومع تعبه وشدة الجهد لا يدري إلى أين الاتجاه وكم بقي من المسافة الشاقة عند ذلك نسي إحياء السمكة، فلما استيقظ موسى عليه السلام من منامه مضيا في مواصلة السير وسرعان ما أرسل الله على كليمه الجوع، ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ فقد أتعبنا هذا السفر، كلمة المتضجر من شدة الجهد، وعند نفاد الصبر يأتي الفرج، فأجابه فتاه كما حكى الله ذلك: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ ونسيت قصته العجيبة التي هي حقيقة بأن لا تنسى مسنداً ذلك النسيان إلى الشيطان الرجيم لعنه الله، فقد بلغ السيل الزبا من جهد المشي، والشيطان لعنه الله يريد أن يتعب موسى وفتاه ولا يريا ذلك العبد الصالح محاولاً أن يدخل الشك على موسى عليه السلام وفتاه، وأن يتعبهما مشياً.

فلما سمع موسى كلام الفتى وقد كان لديه علم مسبق أن المكان الذي تحيا فيه السمكة هو مجمع البحرين وسيجد العبد الصالح في ذلك المكان، ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ عند ذلك تمت النعمة وهان على كليم الله وفتاه كل التعب، غير أن الأمر غير معهود شيخ علم كبير ولا بيت ولا مال ولا غنم ولا جمال فهم في ذلك المكان غرباء جميعاً غير أن الأُنس قد عم مشاعر نبي الله موسى حيث وجد ضالته المنشودة التي من أجلها قَطَعَ المسافات الطوال، قيل: إن الخضر عليه السلام سأله عن اسمه، قال: موسى، قال الخضر عليه السلام: موسى صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم.

فكلمه موسى قائلاً: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ يريد عليه السلام المعاشر المعهودة التي يكلف الله بها عبادة المكلفين من علم التوحيد والفقه وأخبار الماضين وما جرت به سنة الله في خلقه، وقد أخبر الله الخضر بمجيء موسى عليه السلام إليه قبل وصوله وأنه يريد أن يقتبس من نوره علوماً، فأعطاه الله المخطط الذي يبتدئ به وإليه ينتهي، فأمعن في ذلك المخطط وتلك الدروس نظره وعلم أنه لا صبر لنبي الله موسى على ذلك قطعاً، فأجاب على موسى بعد الطلب: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ ولسان حال

الخضر يقول: لا تدري ما خبا لك الدهر، فكرر كليم الله عليه السلام الكلام مؤكداً: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ فقد عزم صلى الله عليه وسلم على المقرى مهما بلغ الثمن من المواظبة على المعاشر واقتناص الفوائد غير أن قوله: ﴿لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ تشعر بما وراءها ولا يدرى ما هي الأمور الشاقة في هذا المقرى والتعليم استناداً إلى قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ فتناسى كل ذلك مستعيناً بالرحمن، عند ذلك علم الخضر أنه عازم لا محالة فأخذ بذلك عليه شرطاً من شروطه قائلاً: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ أورد الكلام بـ«إن» الدالة على الشك ثم بـ«لا» الناهية؛ ليجعلها قفلاً للسان كليم الله عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ نعم، كلمة «انطلقا» تشعر بهمة عالية وإن كانت الآراء مختلفة، فانطلاقة الخضر وعزمه تختلف عما موسى عليه، فالخضر يريد تصديق قوله: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ وموسى عليه السلام بخلافه يريد الوفاء بوعده وتطبيقاً لقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾.

وموسى عليه السلام لا يعلم شيئاً من الأمور القادمة، والخضرُ يعلم القصة من أولها إلى آخرها، ومضيا على شاطئ البحر فما هو إلا وقت قصير وإذا بقوم لهم سفينة وقد اختلفت آراء القوم في

هذين الرجلين فبعضهم قال: لصوص لا تركبوهما، وبعضهم قال: وجوههم تختلف عن وجوه اللصوص، وقيل: إنهم عرفوا الخضر وأركبوهما من غير أجرة، وعلى كل حال إنهما ركبا في السفينة فأقدم الخضر على لوحين كانا في مقدمة السفينة فضربهما بفأسه وكسرهما، عند ذلك ضاق موسى بذلك ذرعاً ولم يملك نفسه ولسانه فكلم الخضر عليه السلام قائلاً: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ شيئاً عظيماً من الأمر لا يجوز السكوت عليه فالسبب في قتل الأنفس مشاركة في قتلها لا سيما إذا كان عمداً فأي عذر معك في ذلك؟ فخاطبه الشيخ قائلاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ تذكر كليم الله بما كان قد وعد من نفسه فقدم العذر والاعتذار: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ السفينة بحاجة وقت لإصلاحها والشيخ الخضر عليه السلام حريص على بذل المعاشر لموسى الكليم فاستنهضه قائلاً: مشيناً.

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ وقد كان دخل على موسى بعض الشك مما رأى من خرق السفينة وما كان يترتب على ذلك الفعل لو وقع في وسط البحر غير أن الله سلَّم لما كانت السفينة واقفة، ولكن حصل ما هو أطم وأعظم فهناك هم بقتل وهنا قتل وإزهاق روح بريئة، وهل بقي للشك مجال بعد هذه الطامة التي وقع فيها هذا الشخص من قتل نفس عمد

عدوان، فقد نفد الصبر وحان وقت النهي عن المنكر فخاطبه قائلاً: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ وكان الجواب الجواب إلا أنه زيد في هذا الجواب «لام وكاف» في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ بخلاف الأول، أراد: إني خاطبتك أنت وقلت لك: «إنك لن تستطيع معي صبراً».

خجل موسى عليه السلام مما رأى ومما سمع ومما وعد واجتمعت عليه المصائب من كل ناحية وتواردت عليه الشكوك من كل فج عميق فلا يدري أين يبدأ به وعزم على مقصارة الالتزام قائلاً: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ هذه مقالة الخائب مما سعى له ومن أجله الحائر في أمره فلا يدري هل هو هذا الذي أمرني الله بأخذ العلم عنه أم هو غيره، ولا يبعد أن يكون غيره، يدل على ذلك أفعاله التي هي من أفعال الحمقى والفجرة غير أن الشك حاصل بما أخذ عليه من توكيد الكلام فيما بينه وبينه ولم يبق أي حل إلا أن ينتظر للثالثة فإن كانت من جنس ما سبق فقد أخذ لنفسه وسيلة الفراق ولسان حال الكليم عليه السلام يقول: أستغفر الله مما وقعت فيه من الورطة العظيمة والبلية الجسيمة، فقد رأى في هذه السفرة العجائب.

فانطلقا وموسى في تعب ونصب وجوع وعقلُه مشغول بالتفكير في القضيتين السابقتين ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا﴾ أي: رأيا فيها رأي عين ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ الخضر عليه السلام- ولا

أدري هل كان موسى له عوينا أم جلس حتى أنجز الخضر عمله- فخاطبه قائلاً: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴿٧٧﴾﴾ عند ذلك كمل الكتاب الذي كان الخضر يملي على موسى منه المعاشر وأراد كل واحد من الصاحبين فراق صاحبه وأطلع الخضر كليم الله على النتائج التي تكللت بالنجاح: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴿٧٩﴾﴾ فلو علمت يا موسى، أن الأمر كذلك لكنت عوناً لي في تعطيل السفينة غير أن الله أرحم مني ومنك بالضعفاء والمساكين فقد بعثني أخرقها رحمة بهم وامتحاناً لك يا موسى كي تعلم بعجزك عن حمل بعض التكاليف وتعرف بتلك القصص قدر نفسك.

وأما الغلام فكان في قتله أعجب مما رأيت ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴿٨٠﴾﴾ لا يبعد -والله أعلم- أن الخضر كان عارفاً للغلام ولوالديه وكان يرى منه ما يدل على فسوقه وإجرامه إذا كبر، وكان يرى من والديه الرحمة له والانقياد لأشواره وهما مؤمنان، فرحمهما الخضر ودعا لهما وأمره الله بذلك، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴿٨٠﴾﴾ وإلى قوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴿٨١﴾﴾.

وإليك يا كليم الله، قصة الجدار الذي أقمته على جهد من الجوع والتعب: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴿٨٢﴾﴾ سبحان الله ما أرحمه بعباده المستضعفين! فهذه القصة قد جمعت الغرائب والعجائب، قال النبي ﷺ: ((رحم الله أخي موسى لو مضى مع الخضر لأراه الغرائب والعجائب)) أو كما قال.

ولا يسع المؤمن بعد التأمل فيها إلا التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله، فهو أحكم الحاكمين، العالم بمصالح عباده أجمعين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نظرة في سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الحق مهيمناً على الباطل إلى يوم الدين، وأوضح الحق في كتابه العزيز لجميع المكلفين، يبين الواجب في قصار السور ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال:٤٢] ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وصلى الله على من أرسله رحمة للعالمين وعلى آله نجوم الأرض وبحار العلم وهداة الأمة إلى يوم الدين، وبعد:

يقول الله سبحانه وتقدست أسماؤه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، والحمد لله رب العالمين.

انظر أيها المستبصر بعين قلبك في هذه السورة الكريمة، قصيرة اللفظ ليسهل على المكلفين قراءتها وحفظها، طويلة المعنى ليغترف العلماء من بحر أسرار معانيها، تأمل فيما اشتملت عليه من القسم العظيم الذي تهتز له مشاعر الأتقياء والمخلصين، وما انطوت عليه من الصفات التي لا نجاة إلا بها، وما بدئت به وما ختمت. ولأمر ما قدم منها ما قدم وتأخر ما تأخر وما توسط منها فسبحان من

أنزلها حجة واضحة وهاتكةً أستار من يقول: «الإيمان قول بلا عمل» فاضحة، تزداد بترادها صفاءً وبهاءً، معجزة من معجزات رسول الله ﷺ، تحدى الله بها وبأمثالها جميع المشركين والملحدين إلى يوم الدين.

نعم، أقسم الله بهذا القسم العظيم ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ والعصر هو بقية اليوم على الخلاف في ذلك بين المفسرين، ولا موجب للعدول عن الظاهر لعدة أسباب وشواهد. لما كان إنكار الكفار للأشياء الواضحة الجلية التي جاء بها رسول الله ﷺ أقسم الله لهم بشيء واضح جلي يراه كل ناظر كما أقسم الله في آيات أخر مثل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾، ومثل قول الله تعالى مقسماً: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات].

نعم، عند سماع القسم من الله جلت قدرته يجب على السامع أن يلقي باله لقسم الله ولما يريد بقسمه سبحانه، فالله سبحانه أقسم بهذا القسم العظيم، من الذي أقسم؟ إنه خالق السماوات والأرض، وخالق الليل والنهار، الذي ركب الحواس في جميع مخلوقاته الحية، صغيرها وكبيرها، ما طار في السماء وما دب على الأرض وما سبح في عميقات البحار، هو الذي أقسم بالعصر ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم خسارة أنفس في نار وقودها الناس والحجارة: ﴿قُلْ إِنَّ

الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴿١٥﴾﴾ [الزمر].

نعم، لفظة «الإنسان» عام مخصص بالاستثناء بعدها، وأين هم الذين استثناهم ربنا جل وعلا فلا نجاة لمكلف من عذاب الله ولا لجسد من حريق النار إلا من كان بهذه الصفات الآتية، ومن لم يكن كذلك فإلى جهنم وبئس المصير.

«إلا الذين آمنوا» أراد بالإيمان هنا التصديق والعقيدة الصحيحة؛ بدليل المغايرة بما وراءها، والعقيدة الصحيحة هي عقيدة قرناء القرآن وحجج الله في كل زمان، أولهم وأولاهم بالذكر بعد النبي أمير المؤمنين الصديق الأكبر والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل؛ بشهادة الله ورسوله، شبيه هارون في قربه من النبي وفي طهارته وحجية اتباعه، الأنزع البطين منزوع من الشرك، بطين من العلم.

ثم من أتى بعده مقتفياً أثره من أئمة الهدى ومصابيح الدجى، فهم القدوة والحجة وإن كانت معرفة الله عقلية غير أن الأمة عند اختلافها وتفرقها واتباع أهوائها يجب الرجوع إلى ما آلُ محمدٍ عليه المشهود لهم بالصدق والطهارة، فصلاة المسلم بدون الصلاة عليهم باطلة، والمنكر لوجوب حبهم جاحد لآية قرآنية، وقد حذرنا الله من مودة أعداء الدين ولو كانوا أقارب قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

﴿وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، فلو كان أهل بيت الرحمة أعداء الدين وخارجين عن دين الله القويم لكان الله قد أغرانا بالقبيح، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا كانوا قرناء القرآن ومطهرين من الرجس والآثام فهم أهل الصدق الذين أمرنا الله بالكون معهم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، فقوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أراد بذلك آل محمد ومَنْ على طريقتهم.

ثم قال ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أراد بذلك سبحانه وتعالى الواجبات، من صلاة وصيام وحج وزكاة وشهادة ألا إله إلا الله وما يلحق بذلك فهذه داخلة دخولاً أولياً، وغير ذلك مما أوجبه الله على المكلفين، غير أن هذه لا تكون واجبات على الحقيقة ومقبولة إلا إذا كانت صادرة من مكلف عقائده سليمة كما سلف وإلا كانت كقوس بلا وتر ورامي بلا حجر ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

نعم، قدم الله من أسباب النجاة الإيمان لأنه أول الواجبات ولا تكون الواجبات مقبولة إلا به، ومن عمل الصالحات بزعمه وفي ظنه بدون عقيدة صحيحة فأعماله كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، وكسراب بقيعة، وما أكثر هذا الصنف على وجه

البسيطة كما قال إمام الأئمة زيد بن علي عليه السلام عندما قال أحد أصحابه وهم في موسم الحج حجاج: ما أكثر الحجيج! فرد عليه عليه السلام قائلاً: «ما أكثر الضجيج!» أراد بذلك عليه السلام أن الحجاج المقبول حجهم هم المؤمنون الأتقياء، المخلصون الأوفياء، من عرفوا الله حق معرفته، وبذلوا ما أوجب الله عليهم في حق أهل بيت نبيهم من الولاء والحب الخالص والاتباع.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ ولله در من أحيا الله به الإرشاد في بلائدنا الحسين بن يحيى بن الحسين رحمه الله رحمة الأبرار عندما تذاكرنا ونحن في رحلة إرشادية في منطقة «أتيس» من بلاد وايلة، فتذاكرنا من قصار السور فقال: ما أشد ألفاظ القارعة! قلت له: وسورة العصر شديدة بذلك القسم وشروط النجاة قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؟

قال: يكون الإنسان عالماً بالأساس. أراد كتاب الأساس.

قلت: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟

قال: كتاب الأزهار وكنز الرشاد.

قلت: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾؟

قال: خرجت كل المذاهب إلا مذهب آل محمد والباقي يتواصون بالباطل.

رحمك الله رحمة الأبرار يا نجم زمانه، وصدق سلام الله عليه فإنك ترى غير أهل هذا المذهب الشريف يتقارضون الثناء،

ويكيلون لبعضهم البعض المدائح تزكية منهم لأنفسهم، والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم:٣٢]، وشهادة من بعضهم لا سيما القادة لأتباعهم بأنهم أهل الفردوس على القطع، كأن الله وكل أمر أتباعهم إليهم في ثوابهم أو عقابهم.

أما أهل هذا المذهب -أعني: مذهب الزيدية- فإنك ترى العالم والقدوة من يخشع وتذرف عيناه الدموع إذا سمع آيات الوعيد تتلى وأحاديث رسول الله في الترهيب تملى، وهذا -والذي رفع السماء- الواقع، ولا يرون المدائح والتزكية والحكم بالنجاة لأتباعهم إلا بالعمل الصالح والخوف والخشية حتى يلقى الله.

انظر في كتبهم وفي مواعظهم ترى تصديق قولي إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

ثم ختم السورة بقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ ختم الله ألفاظ هذه السورة الكريمة بالتواصي بالصبر؛ لأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، فوضع الإيمان في أولها لأنه أساس الدين الذي يبنى عليه وبدونه يكون البناء بلا أساس، ثم أردف بالأعمال الصالحة إجمالاً؛ لكثرتها، وعقب بالتواصي بالحق ليحذر الناصح من الخدع والمكر والخيانة في الكلام وأنه لا حجة له يوم القيامة.

ثم أخر لفظة «الصبر» لمكانته وشرفه وعظيم أجره، وأن الموصي غيره بالصبر من الناجين المخلصين، وأن الناقد لغيره

بالصدق والناصح له بالصبر لم يدخر شيئاً من النصيحة.

نعم، الأعمال الأخروية لا تكون كاملة في الفضل إلا بالصبر، فالصبر لا بد منه في كل عمل، التفكر مثلاً لا تتحصل نتائجه إلا مع الصبر، العلم لا يحصل إلا بالصبر، صنائع الخير لا تحصل إلا بالصبر، كذلك بر الوالدين وبر الإخوان وإصلاح ذات البين لا يتم ذلك إلا بالصبر، فمن صبر ظفر وفاز بالأجر العظيم، ختم الله السورة الكريمة بالصبر؛ لمكانته في الدين، كما ختم سورة الفلق بالحسد؛ لجرمه وشناعته، فعلى الإنسان المؤمن أن يصبر نفسه ويذكر فضل الصبر؛ ليستعين بذلك على الصبر، وينظر في أصحاب الصبر كيف كساهم جزاء عملهم فإنك ترى في وجوهم سيما الصالحين ولو لم تعرفهم من قبل، فالصابر متأس برسول الله ﷺ وقد أمره الله بالصبر كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف]، فهو ﷺ خير الصابرين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، وصلى الله عليه وآله الطاهرين.

وجوب العناية بالأهل والأولاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم]، نادى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله، أراد الله سبحانه من خلال هذا النداء أن يحضر المؤمنون أسماعهم ويعوا بقلوبهم ليفقهوا ما ناداهم من أجله، فالأمر جد وليس بالهزل، والأمر حقيق بأن تخضع له الرقاب، وكل ما جاء نداء لجماعة المؤمنين فإنه يشعر بشيء عظيم من الأمر، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ فنفس الإنسان أعز شيء عليه في هذه الحياة والأهلُ قرناءُ النفس، انظر في رحمة الله بعباده من يريد لنا السعادة في هذه الدنيا وفي الآخرة كيف ألزمنا في هذه الآية العناية بأنفسنا وأهالينا، فإنا إذا أطعناه وامتثلنا ما أراده منا فسوف يمدنا بألطافه الظاهرة والخفية، وسنسعد في هذه الدنيا بالدين قبل الآخرة، وفي الآخرة بعد الدنيا، فالسعادة بالدين لا يوجد لها مثيل في كل ما يسعد به الإنسان في هذه الدنيا، وبعد ذلك السعادة بصلاح الأهل والأولاد، فالمؤمنون لا يسعدون مع فساد أولادهم وأهاليهم أو بعضهم، فإنك ترى من كان كذلك قد حالف الهم قلبه وسيطرت الوساوس على عقله، يرى الصلاح

في أولاد غيره فيزيد الطين بلة إذا نظر في أحوال أولاده وهم غافلون، فالله تعالى شأنه يريد لنا السعادة في هذه الدنيا، غير أن السعادة لا تتم إلا بالتعب في تربية أولادنا وأهالينا.

نعم، خاطبنا ربنا وأمرنا أن نقي أنفسنا وأهالينا، فالوقاية لا تتم لنا ولا لغيرنا إلا إذا أتينا البيوت من أبوابها، أعني بذلك: طلب العلم الذي من أجله جعل الله لنا عقولاً، وأوجبه وحتمه علينا يقول الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٤٣﴾﴾ [النحل]، الكثير من العامة والجهلاء لا يفهم من هذه الآية إلا أن يسأل كم مقدار الكفارة إذا حلف، أو كيف المخرج إذا طلق، وهل تلك الأرض شعراء فتكون قسمتها على الذكير؛ لكي يتيقن أنه لا نصيب للشوايف في تلك الأرض!! أما ما يهمه من صلاة وصيام وحج وزكاة ومواريث وما يلزمه في حق أهله وأولاده فلا يلقي لذلك بالاً! والسعادة عنده وفي ظنه إذا كان أهله شطَّارًا وأذكياء في جمع الحطام، فتراه يتباهى بهم طالباً بذلك العزة من غير وجهها ولكن الجزاء من جنس العمل ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة٦٧].

بعض الآباء والأمهات يبكون واللهِ من أعينهم ويتجرعون الغيض في آخر أعمارهم بسبب ما وقع منهم من التفريط، فالواجب على كل من سمع هذه الآية أن يلزم نفسه الصبر والقيام بتكليف ما تضمنته من طلب العلم والصبر على أولاده وأهله؛ لأنه قد بلغ

التهديد والتخويف منتهاه، ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم٦] وما أكثر وقودها من هذا الجنس -والعياذ بالله- والحجارة؛ لأن الحجارة وحريقها في أجسام أعداء الله نوع من أشد العذاب، فهم بهذه الحجارة يرجمون، وبينها على وجوههم يسحبون قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات]، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر]، ثم قال: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، المؤهلون لتعذيب أعداء الله ملائكةٌ قد نزعت من قلوبهم الرأفة والرحمة، يتشوقون لعذاب أعداء الله كما يتشوق أولياء الله للنعيم في جنات النعيم، فعذاب أعداء الله عندهم من أحب النعيم إليهم، يدفعونهم من على حافات جهنم إلى أعماقها ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور]، يسقونهم ماءً يقطع أمعاءهم ويسلخ فراو وجوههم، يضربونهم بمقامع الحديد، ويقيدونهم بالقيود المثقلة؛ لترسخ أجسادهم في قعر جهنم ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم]، أعاذنا الله من جميع ذلك.

ألا ترى إلى فعل رسول الله ﷺ كيف كان يوقظ أهل بيته لصلاة الفجر مدة طويلة قائلاً صلوات الله عليه وآله: ((الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾))، وهم من سادات الجنة، وكذلك

أمير المؤمنين لو لم يكن إلا وصيته لولده الموجودة في نهج البلاغة، وعلى هذا جرت طريقة أولياء الله يصلحون في أنفسهم ويهتمون غاية الاهتمام بأولادهم، وفي سياق أوصاف أهل الجنة في سورة الفرقان مدح الله أولياءه وخاصته وأخبر بطريقتهم وبدعائهم لمولاهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان].

نعم، إذا ذكروا بآيات الله لم يخروا عليها صماً وعمياناً بل خروا عليها سامعين مبصرين قائلين: «سمعنا وأطعنا» وقائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لأنهم يسعدون بصلاح الأباعد من حبهم لله، فقد طلبوا بهذا الدعاء لقصره وبلاغته كل ما يصلح أولادهم ونساءهم فلا يكون الأولاد والزوجات قرت عين عند أحد من أولياء الله إلا إذا كانوا صالحين، يفضلون مع صلاح أولادهم وأهاليهم الفقر والمرض فهم بصلاحهم أغنياء وأصحاء، وقدم الزوجات لأن الزوجة أساس وثيق لصلاح الأسرة، ثم الأولاد على أنفسهم، فلما تمت النعمة بصلاح الأهل طلبوا من الله الإعانة على أنفسهم قائلين: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ اجعلنا يا ربنا، قدوة لكل تقي

يسعد ويرتاح بطريقتنا، فأنت القادر على ذلك لا أحد يستطيع غيرك، فاجعلنا قدوة في طلب العلم وفي مزاحمة العلماء، وفي الإحسان إلى جيراننا، وفي صلة أرحامنا وبر والدينا، واجعل فينا كل خصلة حسنة تحبها، وخلصنا من كل خصلة سيئة تكرهها، فأنت الذي أمرتنا أن نقي أنفسنا وأهالينا ناراً وقودها الناس والحجارة، وأنت على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

أهمية العناية بالمساكين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان]، نزلت هذه في أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام أثنى الله بصنيعهم هذا عليهم غاية الثناء، وأخبر سبحانه أنهم يريدون بذلك وجهه والدار الآخرة، وأنهم يخافون يوماً كان شره مستطيراً، فأعطاهم الله ما طلبوا وأكرمهم بما أمَّلوا قائلاً سبحانه: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ فهم القدوة بعد رسول الله في الدين، وكم حث الله سبحانه على إطعام المساكين في آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وقد أخبر الله عن عدوه عندما حكم عليه بالعذاب ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا

يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة]، فانظر كيف قرن الله عدم الإيمان بعدم الحث على إطعام المساكين ففي هذا دليل على أن عدم الاهتمام بالمساكين نقص كبير في دين الإنسان، وأن من يهتم بالضعفاء ويعتني بشأنهم يكون معروفاً يوم القيامة بإحسانه إليهم، وقال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴿١٦﴾﴾ [البلد]، خاطب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: ((يا علي، عليك بصنائع الخير فإنها تقي مصارع السوء)).

وأقسم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله يخلق من كل صنيعة خير لطفاً يدفع عن صاحبه نائبة من نوائب الأقدار، مع ما في ذلك من قضاء الحاجات وإدخال السرور الذي هو من أوجب أسباب المغفرة.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴿٢٠﴾﴾ [الفجر]، أخبر الله بحالة الإنسان السيئة في هذه الآية الكريمة أنه إذا أصابه فقر وجهد في معيشته فإنه يتضجر ويشكو ربه بأنه أهانه وأحرمه، فأجابه سبحانه وتعالى قائلاً: كلا إن الفقر

ليس بإهانة مطلقاً، وعلى كل حال ألا ترى ما أصاب الأنبياء من الفقر وكذلك بعض الصالحين، ولكن الله يجعله عقوبة على من لم يرحم الفقراء، ويحرمُهُم حقهم، وكذلك من لم يحث على إطعامهم، ويعاقبُ به من يأكل التراث -وهو الميراث- ويحرم أرحامه، وعلة أخرى وهي حب المال، وحب المال الشديد هو غاية حب الدنيا، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، فهذه الخصال هي السبب في الحرمان وما ماثلها من سيئات الأفعال.

واعلم أيها الطالب لتوفيق الله والنجاة من عذابه أن الدعاء من أولياء الله ومن الضعفاء والمساكين سبب في كل خير، وأنه بمنزلة الواسطة من المتمكنين، فدعوة أحد الملهوفين قد تكون سبباً في صلاحك وصلاح أولادك، وجالبة لرزقك، ودافعة عنك أشد البلاء، وفي الحديث القدسي خاطب الله نبيه موسى: ((أعط الرزق من قعود قبل أن تطلبه من قيام فإنه يأتيك من ليس بإنس ولا جان ولكن ملائكة الرحمن ليختبرك الله فيما آتاك)).

نعم، من البلوى أن أكثر الفقراء يستثقلهم من قصدوه ليطلبوا منه شيئاً من الدنيا وهذه بلية على الأغنياء، غير أن بلية الفقراء بالفقر أشد، والثواب على المكاره هو الثواب العظيم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما من طاعة إلا في كره والخير عادة) وحط نفسك في محل الفقير والناس يحرمونك حين تمد يدك إليهم، نستغفر الله مما لزمنا من الذنوب بسبب الضعفاء والمساكين.

وفي الحديث: ((إنكم لن تسعوا الناس بأرزاقكم ولكن سعوهم بأخلاقكم)) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴿١٠﴾﴾ [الضحى]، وما قدمه الإنسان وأرسله مع الفقراء خير له مما خلفه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٠].

نعم، والصدقة على الأقارب أفضل؛ لأنها صدقة وصلة كما قال رسول الله ﷺ، فعلى الإنسان أن يثق بالله، وأن يكثر من الدعاء، ويدعو الله أن يفتح له أبواب الخير الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته، وأن يتأمل فيما وقع على أصحاب الجنة التي أصبحت كالصريم بسبب حرمان الضعفاء، فالله هو القادر أن يحول الفقير غنياً والغني فقيراً.

نسأل الله السداد والهداية، وأن يعيننا على جهاد أنفسنا، وأن يمدنا بألطافه الظاهرة والخفية، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نعمة الله بالإرشاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، وبعد:

لقد تمت النعمة على جميع المؤمنين في هذا الزمان بوصول الإرشاد إلى أوطانهم، وكل ذلك ببركة أولياء الله من كبار آل محمد الأطهار، ولا تم لهم ذلك إلا بعد جهد جهيد وعناء شديد، وبسبب نياتهم الخالصة وأعمالهم المجهودة وصل الإرشاد إلى ما وصل إليه إلى البوادي والقرى، وببطون الأودية وقمم الجبال، فعُبِدَ اللهُ في تلك المناطق بما يريده ويرضاه، وكل ذلك لم يحصل إلا ببركة أولياء الله الذين بذلوا رخيصهم والغالي، وتحملوا الأثقال في بداية الإرشاد من القروض للأموال، ومن مداراة الناس بأن يقبلوا المرشدين في أوطانهم، ومن الترغيب للطلبة أن يخرجوا، وكم لاقى قائد الإرشاد سلام الله عليه ورحمته ورضوانه سيدي وشيخي الحسين بن يحيى من المتاعب من بداية الإرشاد إلى نهايته، ولا زال سلام الله عليه حريصاً غاية الحرص حتى في مرضه الذي توفاه الله فيه يحث على المواصلة في الإرشاد خوفاً من أعداء هذا العمل الذي بعث الله الأنبياء من أجله.

نعم، زرته يوما في حال مرضه وكان في نجران وعنده بعض الإخوان وأردت أن أدخل عليه السرور لما رأيت حالته فقلت: يا مولانا، أعاهدك بالله أني سوف أنصرك حياً وميتاً، فقال: الله ينصرك ونصرتي نصرت أحمد محمد، وطه مطهر. هذا معنى قوله والله على ما أقول شهيد.

وآخر زيارة زرته في صحبة سيدي وشيخي وقدوتي محمد بن عبدالله عوض حفظه الله، وذلك قبل وفاته بيوم واحد وابتهج سيدي حسين بن يحيى واستراح للكلمة التي خاطبه بها سيدي محمد قال حفظه الله مقسماً: «والله إني لأمضي على طريقتك» بهذا اللفظ أو بمعناه، فالحمد لله على النعمة، ولقد أصاب مولانا الحسين بن يحيى رحمه الله وسيدي محمد عبدالله عوض حفظه الله في تنصيب السادة الكرام سيدي إسماعيل مجدالدين، وسيدي أحمد محمد يحيى، وسيدي يحيى حسين يحيى، وسيدي طه مطهر، فقام الجميع بالإرشاد أحسن قيام، وقد ارتضاهم أتباع السيد العالم الكبير محمد بن عبدالله عوض، أسأل الله أن يمكن وطأتهم وأن ييسر لهم الأسباب، وأن يجزيهم عنا خير الجزاء.

فعلى المرشدين والطلبة أن يعينوا جميعهم بالدعاء، وأن يعرفوا قدر هذه النعمة ويشكروا الله عليها؛ لأن كل مؤمن يحب نشر الدين والمنهج القويم، وهؤلاء يبذلون جهدهم في توزيع المرشدين والإشراف عليهم وتلبية طلب أصحاب البلدان النائية،

وكذلك يقومون بالزيارة لتشجيع المرشدين وترغيبهم، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

مصائب الحسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء]، من الذنوب الكبار والمحبطات لأعمال الليل والنهار ما يقع من الكيد والحسد من بعض الناس لمن يرزقه الله قبولاً عند الناس وجاهاً وإقبالاً من طلبة العلم لأخذ العلم عنه، فترى بعض من لم يحصل له ذلك يتحامل عليه بالطعن في عرضه والتنقيص له بين الناس والمواجهة أحياناً بما لا يسره من الكلام والغيبة عند من يحب ذلك الشخص ويرتضي طريقته، ولا سيما إذا كان المحسود والحاسد زملاء أو من أهل بلدة واحدة، فلا يهدأ لمن لم يحصل له ذلك بال في جميع أوقاته يقول: فلان مرائي ومغرور، ويأكل الأموال الحرام، ويعتقد أنه عالم وليس كذلك، كل ذلك قد زخرفه له الشيطان الرجيم، وأعانته على ذلك النفس الأمارة بالسوء، هو يعلم أن الحسد محرم إلا لهذا الشخص وكذلك الغيبة والطعن عليه.

فمن ابتلي بشيء من ذلك فعليه أن يغالب هواه ويجاهد نفسه

أشد من جهاد الأعداء، وعليه أن يوبخ نفسه بما يوبخ العصاة المفسدين، وينظر إليها نظره لأعداء الدين، وإذا لم يفعل ذلك ألقت به في مستنقع المعاصي الكبار، وينقل اسمه من مؤمن إلى دواوين الأشرار.

اسمع وافْقَه ما حكى ربنا في ذلك لمن هذا حاله يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]، تأمل ما في هذا القصص وأمعن نظرك، أخبر الله سبحانه أنه آتى بلعام بن باعوراء آياته وكان مستجاب الدعاء، قيل: إنه كان يدعو الله في حاجة من الحاجات فيريه الله علامة الإجابة، فكبرت نفسه عنده فكان لا يكبِّر لأحد قدراً، فلما بعث الله موسى حسده وقام يطعن عليه ويتنقصه حباً منه للثناء وطمعاً في الترفع؛ إخلاداً منه إلى الدنيا الفانية وترك الآخرة الباقية، فهذا معنى الانسلاخ من آيات الله فلما فعل ذلك جعل للشيطان عليه مدخلاً، ومن قبل ذلك كانت عناية الله به محيطة، وألطافه للشيطان دافعة قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ نعم، لو كان خطأ بلعام من جهة الغلط أو النسيان لرفعه الله من سقطته

وأخرجه عز وجل من ورطته ولكنه تعمد ذلك الحسد في حق نبي الله موسى عليه السلام فمنعه الله تأييده ولطفه؛ لأنه اتخذ آيات الله هزواً، وخالف ما أمره الله به ظلمًا وعدوانًا، فسلخ نفسه من آيات الله شبيه من يسلخ الجلد اللازق في اللحم؛ فصار للشيطان عليه مدخلاً فتبعه، أما قائده للشر فهو الهوى وحبه للدنيا.

نعم، بهذا القصص حذر الله هذه الأمة المحمدية أن تقع في مهاوي الأطماع الدنيوية من المال والجاه وحب الثناء، أو تقع في مستنقع الأوساخ القلبية من الحسد والحقد الدفين على من ليس له ذنب، ولا شبيه لمن يفعل ذلك إلا الكلب النجس الذي يلهث أمام من ينظر إليه ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴿١٧٦﴾﴾ فيرجع الغاوي عن غيه إذا تفكر، ولا يبعد أن يكون في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تراوده نفسه كذلك فوعظهم بهذه القصة هم ومن يأتي بعدهم؛ رحمة منه تعالى بخلقه وحجة بالغة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢]، فلنحذر جميعاً أن نكون بهذه الأفعال الشنيعة من الحسد وظلم الغير قد تعرضنا لغضب الله الشديد الذي لا تقوى له سماء ولا أرض، نعوذ بالله من مزالق الردى، ونسأله المضي في طريق المتواضعين السعداء إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

نصيحة هامة لصاحب الجاه في الدعوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، وبعد:

لما كانت الدعوة إلى الله من أفضل الأعمال إلى الله سبحانه فصاحبها يحتاج إلى عقل كبير يحاسب نفسه به في جلة أوقاته؛ كي لا يقع في مستنقع الرياء والسمعة والعجب، ويحتاج إلى مواصلة عمله في دعوته إلى الله كي لا يُسلب تلك النعمة؛ لأن القبول وتلقي النصائح من بعض المرشدين نعمة من الله على ذلك المرشد يجب شكرها، وشكرها أن يقوم بعمله في دعوته إلى الله.

كثير من الناس يحب أن يكون داعية غير أنه محروم القبول أو عديم البصيرة في توجيهاته، فليعلم الذي له بصيرة وقبول أن الله أهله لذلك العمل، فإذا تساهل في ذلك فلا يبعد أن يسلب الله عليه تلك النعمة؛ لأن الشيطان لعنه الله حريص على ترك الناس بدون هداية ونصائح، فيأتي المرشد والواعظ الذي له وجاهة وقبول ويقول له: أنت ممن يعظ ولا يتعظ، وغيرك مشمر في طلب العلم وأنت راكن على المواعظ والنصائح للناس، فلو شمرت في تحصيل العلم كي تكون عالِمًا وشخصية مرموقة لكان ذلك أفضل.

فيجب على الداعي إلى الله أن لا يصغي لهذه الوساوس الشيطانية، وعليه أن يجد في طلب العلم، ويستمر في دعوته إلى الله، وأيّ فائدة للعلم إذا لم ينفع صاحبه به الناس، وما مثل ذلك إلا كمن يجمع المال ولا يستفيد منه الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: (يعيش حياة الفقراء، ويحاسب محاسبة الأغنياء).

وليعلم الذي له جاه وقبول عند الناس أن الله قد أكرمه بتلك البصيرة وبذلك القبول عند الناس، فكم من غاو يرتدع عند سماع المواعظ عن غيه، وكم من غافل يصحو من غفلته بسبب تلك المواعظ، وكم من جاهل يطلب العلم بسبب سماعه لفضل العلم. فكم لداعي الله من الفضل والثواب، بعض الناس يكون عاقا لوالديه أو يؤذي جاره أو قاطعًا لأرحامه، وبعد سماع المواعظ يصحو من غفلته، ويصل رحمه، ويبر والديه، ويترك أذى غيره، زادنا الله بصيرة في إصلاح أنفسنا وهداية الناس، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

خاتمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد:

الإنسان دائماً يراجع حسابه لما في يديه ويمعن النظر في أحبها لديه ويطمئن إلى ذلك ويرتاح بالُه إليه، غير أن الفرح والراحة والسرور بذلك محدودة وقد رأينا غيرنا وشاهدنا أبناء جنسنا حين فارقوا ذلك وسافروا إلى غير رجعة تركوا ذهبهم وفضتهم وعقارهم وزراعتهم وتجارتهم، بل ونساءهم وأولادهم وكل ما كان يأنسون به في دنياهم، ووصلوا إلى قبورهم التي مزقت أكفانهم وشربت دماءهم وأكلت لحومهم.

نعم، كان الدين عندهم أهون الأشياء وأرخص السلع فبعضهم حج بعد جهد جهيد من النصائح، وبعضهم لم يفرغ لذلك، وبعضهم كم تردد في ميراث أخواته وعماته يحدث نفسه: أخرجه اليوم، أخرجه غداً، حتى أنشب الحرص أظفاره في قلبه وغطى طول الأمل عينيه، كما قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((يشيب المرء ويشب فيه خصلتان: الحرص، وطول الأمل))، وعند ذلك قطعت حبال ذكر الميراث، وتصرمت وبليت عرى الرحمة وتحطمت، والبعض كان مديوناً لغيره وكان يملك القضاء وحالت عليه النفس الأمارة بالسوء حتى شرب كأس المنون وأخذ الورثة أو بعضهم ما خلّفه وتركه، في الحديث عن رسول

الله ﷺ: ((إذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه على النعش تنادي: يا أهلي، ويا ولدي، لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، إني جمعت المال من حله ومن غير حله فخلفته لغيري فالمهنأ لكم وعليَّ التبعة عند الديان، فاحذروا ما حل بي)).

وأنا أعتقد -والله ورسوله أعلم- أن الدين كان أهون الأشياء عليه وأرخصها لديه، ولم يكن الدين عنده إلا كآلة يحتاج إليها في بعض الأعمال فلا يشغل نفسه بشيء مما يشغل المؤمنون أنفسهم، صلاة الجماعة عنده وعدمها سواء، والعلماء عنده كباعة الخضروات والمحاصيل الزراعية، وعلى ذلك جرت طريقته وانتهت أيام حياته.

وقد حذر الله المؤمنين أن يكونوا كذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

أخي المؤمن، لا تحقر ما عظم الله، لا ترخص ما أغلى الله، لا تصغر ما كبر الله، معك دِينُك الذي هو خير ما مُلك في هذه الدنيا، ثمن لأغلى سلعة عرفها الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحون، ألا وهي الجنة الغير المتناهية في ملاذها ونعيمها، فيحق لك والله الذي لا إله إلا هو- أن تحقر ما دون هذا الدين بيقين وتقول: قد ملكت خير الدنيا والآخرة بهذا الدين القويم، وتنظر إلى أصحاب الدنيا المتكالبين عليها نظرك إلى الصبيان المتلاعبين فيزيدك ذلك اهتماماً بدينك، وتردد على لسانك:

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]، وكلما ذكر عندك نعيم من نعيم الدنيا تقول: معي ديني وأنا به سعيد، وتسأل ربك دائماً الثبات والتوفيق وحسن الخاتمة.

نعم، إنك ترى الملتزم بدينه وإن كان عامياً كالنجم بين مجتمعه، رزقه الله الثناء من أصحابه ثواباً عاجلاً، فتراه أقلهم أو من أقلهم لما في يديه، وأغناهم أو من أغناهم بقلبه.

فالقناعة تصاحب الدين القويم، فإياك أن تحقر نعمة الله عليك بهذا الدين، أكرمك الله بأن حماك من الدنيا؛ لأنها سموم قاتلة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى]، هذه الآية نازلة في أوليائه، وفي أعدائه نزل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

فعليك أن تكون سعيداً دائماً وإن كنت في أحوج الحاجات إلى لقمة العيش الجافة، وتشبع جوعتك بقولك من صميم قلبك: معي ديني الذي هو أكبر من كل شيء دون الله تعالى، معي ثمن الجنة وملكها والخلود فيها، معي ما يصرفني عن النار والخلود في النار فأنا سعيد ولو جعت ومرضت وخفت وأُهنت، غداً إن شاء الله أكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء

والصالحين، غداً أنا من الذين لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشياً، فما عليا إلا أن أعظم ما أنا فيه من الدين؛ لأكون غداً إن شاء الله ممن ذكرهم الله بقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق]، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء].

أسأل الله العظيم البر الرحيم أن يكتبنا ممن يعظم ما عظم الله ويحقر ما حقر الله، وأن يختم لنا بالحسنى إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

المحتويات

مقدمة ٥
باب وجيز في التوحيد ٦
التفكر وفضله..... ١٦
نصيحة موجهة للمرشدين..... ٣٢
نصيحة لطلبة العلم..... ٤١
توجيه ونصيحة لطالب العلم خاصة وغيره عامة ٤٦
نصيحة إن شاء الله للمؤمنات العفيفات وللطالبات التقيات .. ٥٠
التحذير من التفرقة وغيرها ٥٧
علاج ما سبق ذكره ٦٤
التحذير من التساهل في حقوق المخلوقين ٦٦
تحذير من عداوة أهل البيت ٧١
تنبيه:..... ٧٢
تحذير بليغ من أذية الغير ٧٤
في حق الوالدين ٧٨
بحث حول الخوف ٨٣
نبذة من نعيم أهل الجنة ٨٨
نبذة من عذاب أهل النار ٩٣
الابتلاء ٩٧
تنبيه:..... ٩٩
الابتلاء بالفقر..... ١٠٢
في الحث على المسارعة في دين الله..... ١٠٧

في وصف الدنيا ١١١
نعمة الله بالتوبة..... ١١٩
بحث حول قوله تعالى: ﴿إنا أخلصناهم..﴾إلخ ١٢٣
من مشاهد القرآن الكريم ١٢٦
من عجائب القرآن ١٣٢
[قصة كليم الله موسى مع الخضر عليهما السلام] ١٣٦
نظرة في سورة العصر ١٤٤
وجوب العناية بالأهل والأولاد ١٥١
أهمية العناية بالمساكين ١٥٥
نعمة الله بالإرشاد ١٥٩
مصائب الحسد ١٦١
نصيحة هامة لصاحب الجاه في الدعوة..... ١٦٤
خاتمة الكتاب ١٦٦
المحتويات ١٧٠